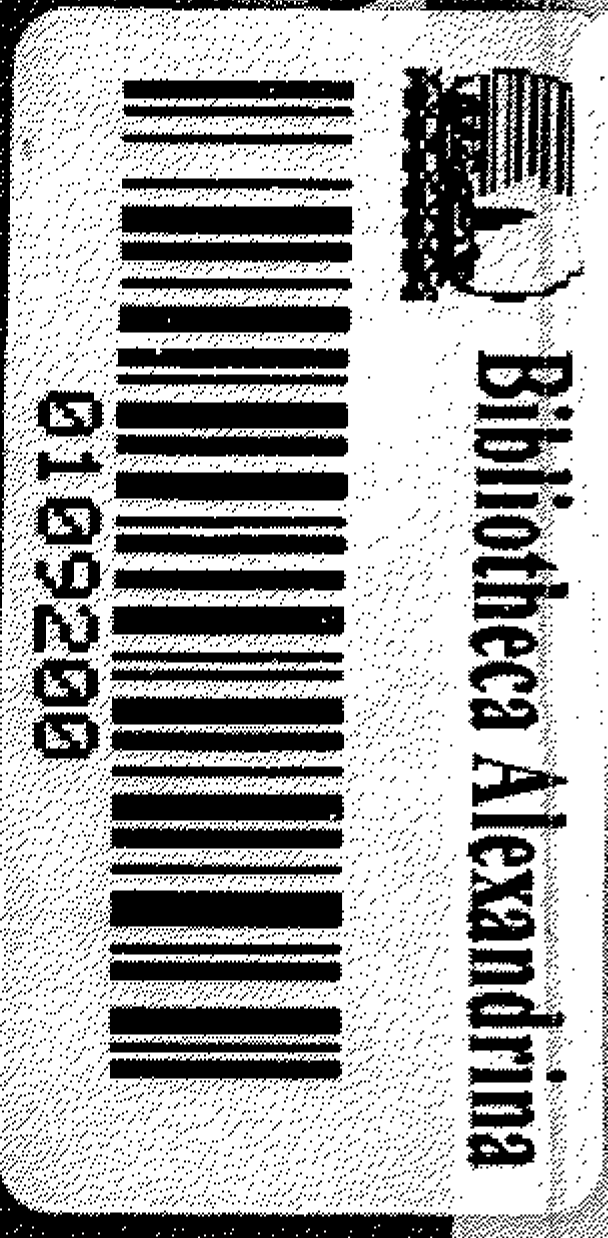
إبراهيم مسعود



دار النشر هاتييه

«الثعلـــــب»

من ملفات المخابرات العامة

الكاتـــب

إبراهيم مسعـــود

دار النشر هاتييه



١٠ شارع أبى إمامة ـ الدقى ـ القاهرة
ت : ٣٤٩١٥٩٧ ـ ٣٤٨١٩٦٩ ـ ٣٤٨٦٩٧٠

المكتبـــات

القاهـــــرة : ٢٠ شارع الثورة ـ المهندسين ت : ٣٦١١٥٨٣٥
الاسكندرية : ٢٠ شارع كلية الطب ـ محطة الرمل ت : ٤٨٣٠١٠٦

رقم الإيداع ١٥٠١/٩٧
I.S.B.N. 977-264-585-8

مطابع زمزم - مهندس يوسف عز - العاشر من رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الثعـــلب

قصــة

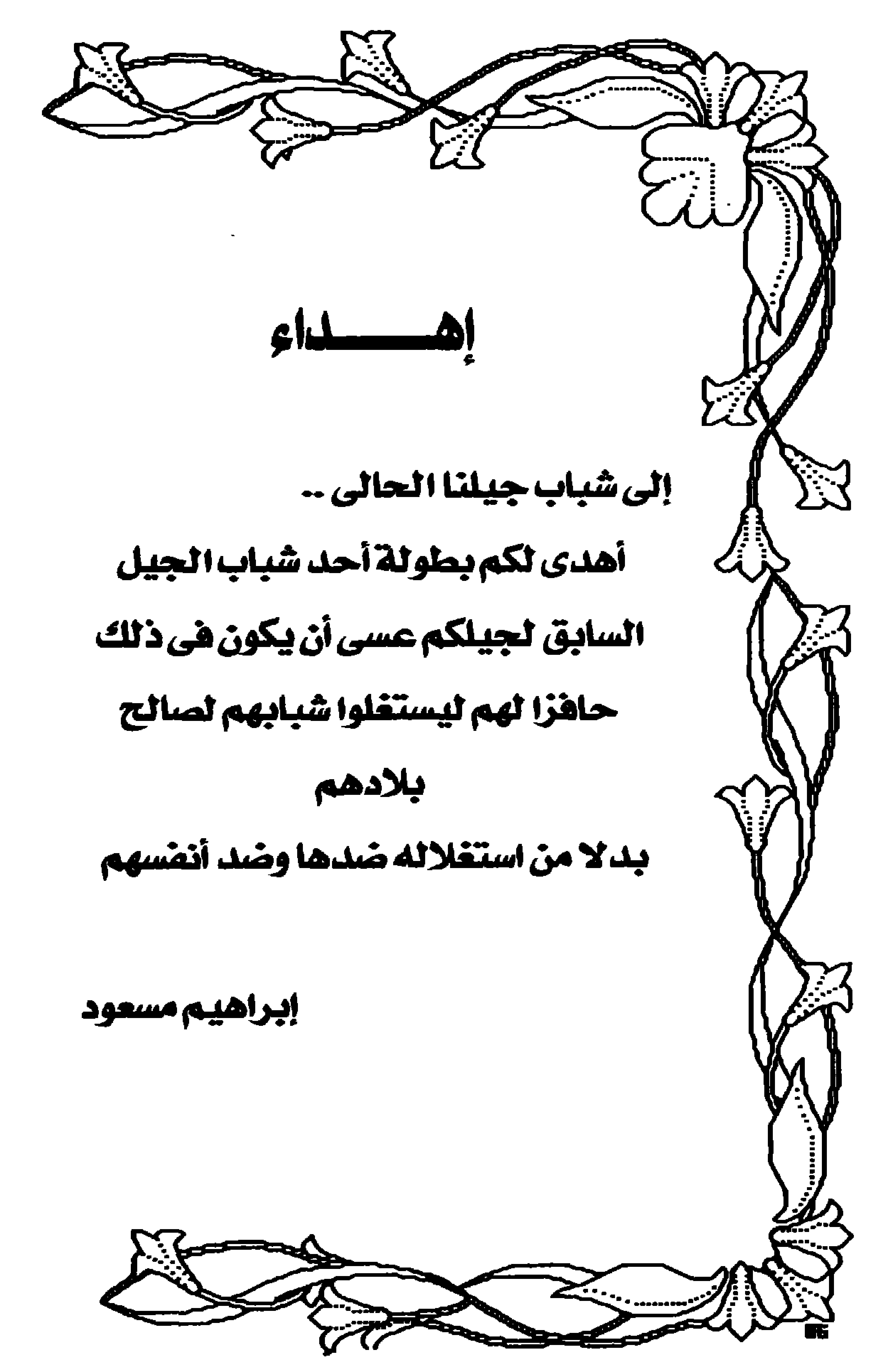
ضابط المخابرات العامة المصرية

الذى عانت من مكره مخابرات إسرائيل كثيرا

فأطلقت عليه الموساد اسم «الثعلب» ..

ثم طالبت برأسه فى مقابل مليون دولار

إبراهيم مسعود



إهـــــداء

إلى شباب جيلنا الحالى ..

أهدى لكم بطولة أحد شباب الجيل

السابق لجيلكم عسى أن يكون فى ذلك

حافزا لهم ليستغلوا شبابهم لصالح

بلادهم

بدلا من استغلاله ضدها وضد أنفسهم

إبراهيم مسعود

مقدمة

الثعلب اسم أطلقته مخابرات إسرائيل.. على أحد رجال المخابرات العامة المصرية.. و«الموساد» ـ أى مخابرات إسرائيل ـ كانت صادقة فى هذه التسمية، فالاسم هو حقا صفة ذلك الرجل.. لقد أطلقت عليه الموساد الاسم بعد أن أحبط لها معظم محاولاتها من أجل الحصول على معلومات عن مصر.

كما قام هو بالتخطيط لعمليات تمكن عن طريقها من اختراق ثغرة فى أمن إسرائيل.. فحصلنا على معلومات كانت إسرائيل تظن أنه لا يوجد من يستطيع الوصول إليها.. وعندما تأكدت الموساد من خطورته.. وكعادتها صارت تخطط لاغتياله.. وعندما فشلت.. أعلنت عن مليون دولار مكافأة لمن يأتيها برأسه.

ولكن الله سبحانه وتعالى كان دائما بجوار ذلك الرجل، وها هو مازال حيا يرزق .. لقد سعيت كثيرا طوال تلك السنوات للقاء ذلك الثعلب .. من أجل تحقيق أمل يراودنى بين الحين والآخر.. كان أملى أن أجلس إلى ذلك الثعلب لاستمع له ولذكرياته وعملياته التى قام بها ضد الخصم.. لكى أكتبها ولتقرأها وتسمعها وتشاهدها جماهير الشعب المصرى وشعوبنا العربية والشعوب الأخرى.. حتى يعلموا عن بطولة ذلك الرجل المصرى الذى تمنت الموساد يوما أن يقع فى يدها لتقتله.

وأخيرا حانت لى الفرصة لذلك اللقاء بعد أن سمح بنشر تلك العمليات التى قام بها الثعلب.. وكان من أهمها عملية أطلق عليها اسم «صقر سامع».

إن غرابة تلك العملية تتمثل فى أنها بدأت لغرض ما.. ثم تغير الغرض منها بعد ما ظهرت نتائجها الأولية.. فقد كانت بدايتها ملاحظة تسرب بعض المعلومات السرية عن مصر إلى إسرائيل.. فطلب الزعيم الراحل «أنور السادات» من المرحوم المشير «أحمد إسماعيل» الذى كان رئيسا للمخابرات العامة حينئذ اكتشاف ذلك المصدر الذى تتسرب منه تلك المعلومات.. فعقد اجتماع موسع لقيادات المخابرات العامة.. وبناء على قرار اتخذ فى نهاية الاجتماع كلف الثعلب بهذا الموضوع نظرا لكفاءته.. وأيضا لأنه كان وقتها هو المسئول عن النشاط الإسرائيلى ومكافحته.

وخطط الثعلب وبدأ.. وبعد فترة من المتابعة.. وبعد إحدى اللقاءات السرية بين الثعلب وواحد من عملائه المهمين فى الخارج.. ظهر أول الخيط الذى كان من السهولة أن يمر على أى إنسان دون أن يفطن له.. ومن هذا الخيط استنتج الثعلب أن تلك المعلومات قد تسربت من إحدى الدول الصديقة لمصر.

وفى أعمال المخابرات لا يعترف بالاستنتاجات.. ولو أن ملكة الاستنتاج هى مقدرة يهبها الله لبعض الناس.. وليست لكل الناس.. وهى مفيدة جدا فى أعمال المخابرات.. فهى المحور الذى يسير عليه رجل المخابرات من أجل الوصول إلى الحقيقة، فالاستنتاج فقط لا يعتبر نتيجة.. لذا كان على الثعلب أن يصل عن طريق استنتاجاته إلى ما يسمى بالمعلومات.

واستمر الثعلب خلف ذلك الخيط حتى توصل لمعلومة تفيد باجتماع بعض الدول الصديقة لإسرائيل لتبادل المعلومات.. ولكن أين.. ومتى يحدث .. هذا ما لم يكن قد توصل إليه الثعلب بعد.

وتعجل رئيس المخابرات العامة ما وصل إليه الثعلب وذلك من كثرة

إلحاح الرئيس «السادات» استعجاله لذلك في موضوع تسرب حقا إن الرئيس «السادات» لم يكن يهتم بذلك الموضوع بسبب تسرب المعلومات. كان له تفكير آخر لتخطيط ما..

وبلغ المشير «إسماعيل» الزعيم «السادات» بما وصل إلى علمه من معلومات من الثعلب.. وتعمد ذكر أن ما قاله ما هو إلا استنتاجات تحتمل الصدق أو عدمه.. ومع ذلك شعر المشير أن الرئيس «السادات» وكأنه قد سعد بما سمع وتعجب المشير لذلك.. ولكن زال تعجبه عندما صرح له الزعيم «السادات» أنه أيضا استنتج ذلك.. ويومها صدر من الزعيم «السادات» أمر غريب فى صيغته.. فقد قال للمشير بالحرف:

«أريد معلومات مؤكدة من فم أصحابها».

ونقل المشير ذلك الأمر إلى رئاسة الثعلب التى كلفته بضرورة اكتشاف ذلك المكان السرى الذى تجتمع فيه قيادات الموساد مع قيادات مخابرات الدول الصديقة لها.. وذلك من أجل تبادل المعلومات.. ثم بعد اكتشاف ذلك المكان الذى لا يعلم أحد إلا الله فى أى دولة من العالم مقره.. نقول بعد اكتشافه كان على الثعلب أن يترجم أمر الرئيس «السادات» ويحضر له «معلومات مؤكدة من فم أصحابها» فهو يعتقد أنه من بين تلك الدول.. دولة توصل معلومات عن مصر لمخابرات إسرائيل.

وبرغم استحالة أو صعوبة المطلوب.. إلا أنه بتوفيق من الله أولاً وبفضل تلك العقلية الجبارة للـ«الثعلب» وقدرته على الخداع والمراوغة.. استطاع وبمعاونة فريق عمل من رجال المخابرات العامة المصرية اختارهم بنفسه بمواصفات خاصة.. وكان عليهم أن يصلوا إلى الدول الذى لها العملية عن طريق دول أخرى .. وذلك زيادة فى أحتياطات الامن.

وفى الوقت المحدد بالضبط كان الكل تحت قيادة الثعلب الذى اجتمع بهم فى مكان سرى.. حيث أعطى لهم التعليمات النهائية.. وذلك بعد أن تمكن الثعلب من العثور على ذلك المكان السرى الذى يخص الموساد.

وبناء عليه.. أبلغ الزعيم الراحل «أنور السادات».. الذى كان جالسا فى ركن من تلك الحديقة الملحقة بذلك المنزل الصغير بريف مصر.. حيث كان يستمع بتركيز واهتمام لحديث المرحوم المشير «أحمد إسماعيل».. وهو يبلغه باكتشاف ذلك المكان السرى لاجتماعات قيادة الموساد بقيادات الدول الصديقة لإسرائيل والتى أكتشفت أن دولا منها كانت تظهر عدم تعاملها مع إسرائيل وأنها صديقة لمصر.. واتضح أنها تحضر هذه الاجتماعات بطريقة سرية.

وبعد أن أبلغ الرئيس «السادات» بالمعلومات.. اندفعت منه الفرحة.. ونطق بعد أن كان صامتا وقال: «يسلم رجالك اللى قدروا يوصلوا لكده.. عارف يا «أحمد» لو رجالتك دول قدروا يحطو لى كرسى بين كراسى المجتمعين دول من غير ما يشوفونى همه.. يبقى حقدر ألعب لعبتى.. وحقدر أورى للعالم كلة اللى بيقول إن مصر مش حتدخل حرب تانية مع إسرائيل.. إن مصر دخلتها فعلا وكسبتها.. قول لرجالتك إنى طالب الطلب ده منهم.

وسيشهد العالم بعد نشر ما سمعته من الثعلب.. أن هناك رجالا آمنوا بربهم.. واتقوا الله فى وطنهم.. فعملوا وهم يضعون رؤوسهم على أكفهم فنجحوا بقدرة الله ومقدرة عقولهم.

لقد نجح الثعلب وزملاؤه فى تحديد ذلك المكان المزود بأحدث وأقوى أجهزة الإنذار الإلكترونية للكشف والمتابعة والتحذير والقتل.. كما قاموا بزرع أجهزة التصنت الدقيقة داخله، وبذلك يكونون قد وضعوا للرئيس «السادات» فعلا مقعدا خفيا بين المجتمعين.

وسيشهد التاريخ أيضا أن الرئيس «أنور السادات» حقق له أبناء مصر من رجال المخابرات العامة ما تمناه .. فلعب لعبته فى وقتها ومكانها وبنجاح حيث سرب معلومات خادعة لتلك الدولة الصديقة.. فقامت كعادتها بتوصيلها للموساد.. وكانت النتيجة هى حرب أكتوبر المجيدة.. ونتائجها والتى لا ينكر أحد أنها أعادت العزة والكرامة.. ليس لأبناء مصر فقط.. بل لأبناء الأمة العربية جميعها.. وكان ذلك بفضل تنفيذ العملية «صقر سامع» التى أشرف عليها وتابع تنفيذها بنفسه الزعيم الراحل «أنور السادات».. والتى قام بها الثعلب ومجموعة من أبطال مصر من رجال المخابرات العامة.

أيضا سيعرف العالم كله لأول مرة بعد نشر تفاصيل عملية «صقر سامع».. التى قام بها أبطال مصر من رجال مخابراتها العامة.. سيعرف العالم لأول مرة ردا على استفسارات كانت ومازالت تتردد فى وسائل إعلامه.. عن كيفية وصول مصر لتلك المعلومات التى تحير العالم فى معرفة مصادرها التى وصلتها لمصر.. وهى المعلومات التى أفادت الزعيم الراحل «محمد أنور السادات».. فاستخدمها فى حرب أكتوبر..

وستفاجأ الموساد أى المخابرات الإسرائيلية.. وكذا مخابرات الدول الصديقة لها.. والتى تعاونت معها فى تبادل المعلومات.. أن المخابرات المصرية كانت تحضر تلك الاجتماعات فى ذلك المكان السرى بإحدى دول أوربا دون أن تثير شكهم فى أن مصر جالسة معهم وبينهم.. تسمع وترى وتسجل أولا بأول كل ما يدور وما يقال..

«إبراهيم مسعود»



كان صبرى أطول من الأعوام التى مرت على تحقيق أمل سعيت إليه كثيرا.. ألا وهو لقاء ذلك الرجل المعروف بين رجال المخابرات المصرية باسم الثعلب.. والغريب أن ذلك الاسم أطلقته عليه مخابرات إسرائيل.. التى تحدثت عنه كثيرا فاعترفت بأنه أقلق راحتها.. ودمر عملياتها، واكتشف جواسيسها، وعمل على خفض الروح المعنوية بين عملائها.

لذا فموساد إسرائيل هى الأخرى تريد أن تلتقى به.. لا من أجل تمجيده كما أريد أنا بالكتابة عنه ليقرأ العالم عن ذلك الضابط المصرى ذى العقلية الفذة.. بل لاغتياله.. انتقاما لما أصابهم منه.. وليزيحوه عن طريقهم وهم لا يعلمون أن بالمخابرات المصرية ثعالب أخرى غيره..

وقد حاولت الموساد كثيرا.. وفشلت أيضا كثيرا.. لأن الرجل كان ومازال فى عمره بقيه.. وعندما يئست الموساد من الخلاص منه.. استأجرت القتلة.. فقد أعلنت عن مكافأة مقدارها مليون دولار لمن يأتى برأسه..

وأيضا لم تنجح .. فمازال الرجل يحتفظ برأسه بين كتفيه.. ويضحك بمرحه المعروف عنه وهو يقول:

حقهم يزودوا المبلغ شويه.. الدنيا غليت..

عزيزى القارئ.. إن ذلك الثعلب.. بطل يستحق أن تسجل عملياته لتخلد بطولاته.. إنه بطل مصرى.. وبالتحديد أحد أبطال المخابرات المصرية..

فهو أحد ضباطها الذين عملوا فى صمت على مدى أعوام طويلة ولم يطمع يوما أن تسلط عليه الأضواء.. رغم أن ما يقوم به هو ومعاونوه من هؤلاء الرجال الناكرين لذاتهم.. يعد مبهرا

إنهم رجال يقومون بأعمال يصنع منها أرقى أفلام الإثارة والحركة والفكر دون مبالغات أو تدخل الخيال فيها.. إنها مغامرات درجة خطورتها أضعاف أضعاف احتمالات الأمان بها.. عمليات لا تحتمل الخطأ..، فالخطأ الأول هو الأخير فيها.. ومع ذلك لم يفكر أحد من هؤلاء الرجال الأبطال حتى مجرد التفكير فى أن يكون يوما ما تحت الأضواء رغم ما يقوم به من بطولات نادرة.. من أجل ذلك كنت أسعى بلا كلل للقاء الثعلب طامعا فى أن يكون لقلمى شرف البدء فى كتابة بطولات هؤلاء الأبطال تباعا.

وأخيرا جنيت ثمار صبرى.. لقد بدأت بوادر تحقيق ذلك الأمل تظهر بعد طول صبر وانتظار.. وكان الأمل باللقاء مشروطا من الثعلب.. كان شرطه يؤكد أنه مازال رجل أمن من الدرجة الأولى.. فقد اشترط الحصول أولا على تصريح من المخابرات العامة بلقائى والتحدث معى عما أبغى ويومها انتابنى الخوف.. وكاد اليأس يتسرب إلىّ..

تسرب اليأس إلى نفسى بعد ما سمعت شرط الثعلب ولماذا.. لأنى أعرف هؤلاء القوم جيدا.. فهم قوم لا يحبون الإعلان عن أنفسهم وتجرأت وقررت المواجهة.. فاتصلت تليفونيا وطلبت لقاء أحد المسئولين بالجهاز لأمر هام.. وكنت متأكدا أنى سأحظى بهذا اللقاء.

وفى ذلك المبنى العتيد.. كان لقائى مع المسئول فى مكتبه الهادئ

المتميز بالذوق والبساطة.. وكان ذلك الصوت الهادئ مصحوبا بتلك الابتسامة المشجعة مع نظرات كلها ذكاء وترقب.. هو يعرف جيدا ما جئت من أجله.. وكان يستطيع أن يوفر عليّ مشوار مقدمات الحديث لأصل إلى ما أريد.. كان فى إمكانه أن يبلغنى بالرفض بلا مقدمات منى فيها مضيعة لوقته الثمين.. ولكن عادة فى هؤلاء القوم.. ألا يعطى إلا بعدما يأخذ.. أى لا يعطيك ما عنده إلا بعد أن يأخذ منك ما عندك.. وبابتسامة وبهدوء ذلك المسئول الذى استمع لكل ما لدى خاصة تساؤلى.. لماذا يحجبون بطولاتهم عن شعبهم؟

لقد تركنى أيضا أندفع فى إبداء رأيى فى ذلك.. وكان رأيى الشخصى أن تلك البطولات ليست من حقهم هم فقط.. إنها من حق الشعب.. إن الشعوب تحتاج لأبطال يدفعون بروحها المعنوية لأعلى.. وشعبنا لا ينقصه الأبطال.. وأعطيت مثلا بتجربة..

لقد كشفت المخابرات المصرية عن بطولة أحد المتعاونين معها.. فانتشى الشعب ببطولته وأصبح حديث الجميع.. بالرغم من أن تلك البطولة يستحقها فى المقام الأول من قام بها فعلا.. أى من كان خلف ذلك الرجل.. أنهم رجال المخابرات الذين فكروا وخططوا.. ودربوا.. ووجهوا.. ثم دفعوا به إلى هناك.. وحتى وهو هناك.. كانوا دائما بالقرب منه..

أما الآن فلدينا بطل قام بهذه العملية مع زملائه.. إن إسرائيل نفسها كرمته واعترفت به بطلا.. فلم لا نكرم نحن أيضا أبطالنا؟ يبدو أن محدثى المسئول شعر أنى لن أتوقف عن الكلام الذى انطلقت فيه متحمسا لوجهة نظرى التى لن أكف عن الحديث فيها وشرحها إلا بعد أن أحصل على وعد بالتصريح لى بلقاء الثعلب.. عندما شعر بتلك النية.. لم يجد بدا من

أن يستوقفنى متعجبا متسائلا.. وتلك الابتسامة مازالت على فمه:

«لماذا حضرت وأنت متوقع منى الرفض؟!»

هنا فقط صمت.. واستمعت فعلمت أنه قد تمت الموافقة لى فعلا بلقاء الثعلب وكتابة ذلك الموضوع ونشره.

كنت أريد أن أسرع.. لأطير إلى الثعلب.. لكى أبدأ معه الجلسات ولكى أسمع منه.. لكى أكتب ما سأسرده على صفحات من الورق لتقرأه وتشاهده جماهير شعوبنا العربية.. والشعوب الأخرى حتى يعلموا ببطولة ذلك الرجل المصرى الذى تمنت الموساد يوما أن يقع فى يدها لتقتله..

واتصلت به لأحدد معه موعدا.. ولكن عرفت أنه مسافر وسيعود فى نهاية اليوم.. وأبلغت أنه ترك لى خبرا أن أنتظر منه مكالمة تليفونية.. لتحديد موعد اللقاء.

وصلت إلى منزلى.. وطلبت عدم إشغال التليفون.. وجلست بجواره شاردا مفكرا متخيلا الشكل الذى ستكون عليه المكالمة.. صوت جاف.. لهجة آمرة بموعد ومكان اللقاء.. كنت أفكر فى محاولات لأطيل مكالمة الثعلب معى حاولت أن أضع رؤوس موضوعات لأطيل حديثى معه.. ولكنى فى النهاية قررت أن أكون مستمعا فقط لحديثه الذى توقعت أن يكون مقتضبا وقصيرا.. وارجأت ما أريده إلى لقائى معه..

ومر اليوم.. وكان صباح اليوم التالى.. حيث دق جرس التليفون.. فرفعت السماعة..

سمعت صوتا فيه طابع المرح والبشر «صباح الخير يا أستاذ «إبراهيم» وكان ردى ببساطة: «صباح الخير مين» سمعت الطرف الآخر يقول

بظرف: أنا.

وكان ردى هذه المرة بشىء من الجدية: «أيوه أنت مين يعنى.. وأرجوك قول مين أحسن أنا مستنى مكالمة مهمة»..

وفوجئت بالرد: ما هو أنا المكالمة المهمة أنا الثعلب..

لم أستطع أن أتفوه بلفظ.. صمت تماما.. لم أكن أتوقع ذلك الحديث البسيط منه.. ويبدو أن صمتى قد طال.. فسمعته بصوته الهادئ الرقيق: إيه يا «إبراهيم» أنت معايا ولا مش سامعنى.. واندفعت بسرعة: معاك.. مع سيادتك يا أفندم سامع حضرتك.. فسمعته يقول:

أنا بكلمك من البلد بعد ساعة حقوم على مصر.. أنت أخبارك إيه النهاردة.. أنا تحت أمرك يا أفندم.. فقال يعنى: مش مشغول ولا حاجة.. أبدا يا أفندم أنا تحت أمرك من النهاردة.

فرد قائلا: طيب أنا حستناك فى البيت الساعة سبعة.. مش فاضى النهاردة.. خليها بكرة الساعة سبعة برضه.. «ووجدت نفسى مندفعا»: لا.. النهاردة يا أفندم بس آخد العنوان.

وفى الموعد بالضبط.. كنت أضغط على زر جرس الباب حيث فتح لى الثعلب سريعا بابتسامة مشرقة وصاح:

ـ أهلا يا «إبراهيم».. ومد يده لى مصافحا .. وأمسكت بيده فشد عليها وجذبنى إلى الداخل حيث وجدت نفسى فى شقة عادية.. منسق أثاثها بترتيب هادئ يمتاز بالذوق الراقى.

وفى صالون تلك الشقة البسيطة العادية بدأ أول لقاء لى مع ذلك الرجل الثعلب الذى حير موساد إسرائيل.. وآن الأوان لأعرفك عليه.. قبل أن تتعرف على أعماله الجريئة التى قام بها لصالح بلاده.. والمفروض أن أصف لك الثعلب كشكل.. لتتخيله أيها القارئ.. ولكن آسف.. لن أستطيع.. فقد منعت من ذلك.. والسبب غريب ولن يطرأ على بالك.. فمازالت المخابرات العامة تحرص على حياة ذلك البطل.. ومن الوصف ممكن التعرف عليه.. وفى ذلك خطورة على حياته.. ووجدت أن السبب مقنع.. ومقنع جدا.. ويكفى أن نقول إنه يعتبر أحد العقول المفكرة المعتد بها بجهاز المخابرات المصرية..

وكنت قد قرت أن أكون فى هذا اللقاء مستمعا فقط حتى أستطيع أن أحصل فى أول جلسة على جرعة كبيرة من ذكريات ذلك الثعلب.. أو إذا صدق التعبير ذكريات أهم عملياته التى قام بها قبيل حرب أكتوبر.. أو تلك العملية التى أمدت الزعيم الراحل «أنور السادات» بمعلومات ساعدته كثيرا فى التحضير لحرب أكتوبر.. وهى ما سميت حينها بعملية «صقر سامع» وهى العملية التى ما كان الرئيس «السادات» يأوى إلى فراشه فى فترة من الفترات إلا بعد أن يتصل به المرحوم المشير «أحمد إسماعيل» عندما كان رئيسا للمخابرات العامة.. ليبلغه بوصول رسالة من الثعلب تفيد بأن العملية تسير بأمان.

لقد استغرقت تلك المقابلة لى مع الثعلب ـ وهى أول مقابلة ـ أربع ساعات كاملة.. تخللها فقط فترتى تقديم القهوة والشاى.. ولثوانٍ لا تتعدى الدقيقة، وقد تركته يتحدث دون أن أحاول إيقاف ذلك الطوفان المستمر المتدفق.. طوفان الذكريات المحمل بالمعلومات .

كنت أدون فى كلمات قصيرة ما يذكرنى ببعض الاستفسارات حتى لا أقاطعه فأقطع تدفق تلك المعلومات..

كان وجه الثعلب أثناءها يتشكل تعبيره بتغير المواقف التى يتذكرها فيقصها بدقة.. أربع ساعات من الاستماع مرت كدقائق بالنسبة لى.. أما له.. فيبدو أنها كانت طويلة طول الزمن الذى حدثت فيه تلك الأحداث.. فقد بدأ الإرهاق يتضح على وجهه.. فقد كان يتحدث من داخله.. وبانفعال لحظات حدوث كل حدث من تلك الأحداث الهامة الخطرة.

بدأ الثعلب سرده قائلا:

إنه لكى يتحدث عن عملية «صقر سامع» فإنه لابد وأن يذكر أن طبيعة العمل بالمخابرات العامة لها شقان..

الشق الأول: هو منع مخابرات الدول الأخرى وخصوصا مخابرات الخصم من الوصول أو الحصول على أى معلومات عنا. وكذا منع أى تسرب للمعلومات خارج البلاد..

أما الشق الثانى: فهو الحصول على معلومات عن الخصم من خلال العملاء بالخارج وكان بعضهم على مستويات عليا.. ولن نذيع سرا إذا قلنا: إن للمخابرات العامة عملاء داخل ديار الخصم نفسه.

وكان على الثعلب أن يسافر إلى خارج البلاد للقيام بلقاء سرى مع أحد هؤلاء العملاء الأجانب.. وهو على درجة من الأهمية لأنه يعمل فى إحدى الجهات الدولية «غير مسموح بذكر اسمها»..

وكان موعد سفره بعد أيام من تلك الليلة التى بعد منتصفها أيقظه من نومه جرس التليفون.. حيث رفع الثعلب السماعة بعد أن نظر فى المنبه

أمامه.. وكانت الساعة حوالى الواحدة والثلث تقريبا..

وبدأت المحادثة التليفونية بالحوار التالى:

ـ أنت نايم؟

الثعالب كنت..

ـ طيب أسيبك تكمل نومك.

وكان الثعلب قد بدأ يتعرف على الصوت الذى أستمر :

ـ : أصل أنا الحقيقة كنت عايز أتكلم معاك شوية.

الثعلب: تحت أمرك يا أفندم..

وكان السؤال من الطرف الآخر:

ـ أنت عارف مين اللى بيتكلم؟

الثعلب : ومش قادر أصدق يا أفندم..

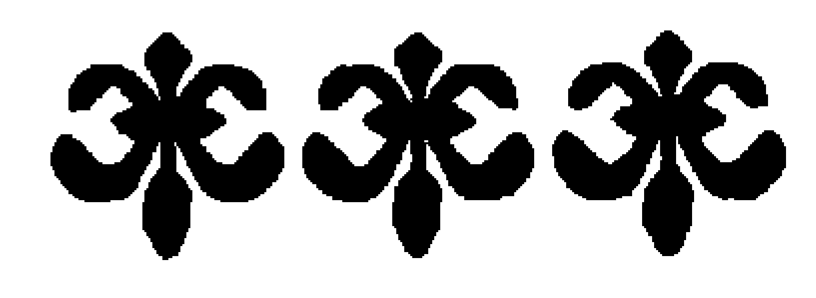
ـ لا صدق.. هو أنا.

وإلى هنا ويتوقف الثعلب عن استكمال باقى الحوار التليفونى وينظر إلىّ متسائلا وكأنه يختبر ذكائى:

عارف مين ده اللى بيكلمنى فى الساعة دى؟

ولما وجد على شفتى ابتسامة المعرفة.. لم يصدق فكرر علىّ السؤال.

وكانت إجابتى: أعتقد أنه رئيس المخابرات العامة.





ذكرنا فى الفصل الأول أن الثعلب بدأ يسرد تفاصيل عملية «صقر سامع» من خلال محورين.. أولهما محوره: وقد تحدثنا عنه حتى وصلنا لتلك المحادثة التليفونية التى وصلت للثعلب بعد منتصف الليل.. وكان الطرف الآخر فيها هو رئيس المخابرات العامة.. وقال الثعلب: إن تلك المحادثة كانت هى البداية الحقيقية لعملية «صقر سامع».. وتوقف فى حديثه عن المحور الأول عند تلك النقطة.. والآن سيبدأ الثعلب حديثه من منطلق المحور الآخر.. وهو محور الزعيم الراحل «أنور السادات».

فى مارس عام ١٩٧٢ وحتى مفاجأة أكتوبر ١٩٧٣ كان الرأى العام المصرى فى حيرة.. أحرب.. أم لا حرب..كان الكثيرون مشفقين من دخول الحرب، ولكن الأكثر كان يتمناها.. فهى تمثل الكرامة والعزة المصرية فلنخضها وليكن بعدها ما يكون..

كان ذلك هو رأى شباب البلاد الذين ظلوا سنوات طويلة ينامون على تراب سيناء.. يأكلون طعامهم ممتزجا به ويشربون ماءً مذابا فيه.. فصار تراب الأرض فى كيانهم.. لقد امتزج حتى بدمائهم.. فصار يجرى فى عروقهم.. شباب تعود ألا يهاب الموت بل يتمنوه وكانوا فقط ينتظرون الإشارة ليواجهوه.

ولكن من يملك تلك الإشارة كان يعرف جيدا أن دماء شباب بلاده ثمن غال لحريتها.. على قدر ما كانت تلك الدماء رخيصة لدى أصحابها

إلا أنها كانت لا تقدر بكل نفيس وغالٍ لدى صاحب القرار.. وكان لا يريد التضحية بقطرة منها.. إلا فى مقابل ما هو أسمى وهو النصر.. نصر العزة والكرامة المصرية.. لذا كان «الزعيم السادات» يرى أن التريث فى الإقدام على ما سيقدم عليه واجب..

وكان نتيجة ذلك التريث .. أن أجمع الرأى العام العالمى وجزء من الرأى العام المحلى.. على أن لا حرب.. فمصر لن تجازف بحرب أخرى مع إسرائيل.. خوفا من حدوث نكسة ثانية لا خروج منها هذه المرة.. أما البعض الآخر من الرأى العام المحلى فقد كان يطالب بالموت الشريف.. على الخوف من الحرب والخضوع والاستكانة لاحتلال العدو للأراضى المصرية والأراضى العربية..

الفريقان كانا يتحدثان برأيهما.. ولكن أحدهما لم يكن لديه تأكيد بالحرب.. أو اللاحرب.. واحد فقط هو الذى كان يعرف.. لكنه صامت صابر.. لا يريح من أجل أن يستريح مما يقال وينشر من استفزازات لا يحتملها بشر إلا هو.. فليقولوا ما يقولون وينشر ما يثير.. فلن ينطق.. لأنه كان ينوى أن يعمل.. لذا كان دائما متأملا متربصا.. متشوقا لأى معلومات عن الخصم وكان يلتهم كل معلومة تصله عن العدو بنهم.

ومن متباعة الرئيس «السادات» للتقارير التى تصله.. ومن ملخصات إذاعات العالم.. وتلخيصات الموضوعات السياسية التى تنشر فى الخارج بخصوص منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.. ظهر له ما يثير الشك فى أن معلومات ما قد تسربت من البلاد.. ولما كان هو فى أشد الحاجة لمعلومات عن الخصم.. من أجل التخطيط لدخول معركة معه.. فهو أيضا فى أشد الحاجة لئلا يتسرب من أسراره شىء يستفيد منه الخصم..

وإذا كان ما شاء ربك فعل.. وحدث فعلا ذلك التسرب.. إذن فلا أقل من اكتشاف ذلك المصدر الذى تسربت منه المعلومات.. لا لكى يضرب بيد من حديد كما قال المشير «أحمد إسماعيل» وهو يتحدث معه الرئيس بصفته رئيسا للجهاز المسئول عن أمن الدولة.. بل لاستخدام ذلك المصدر نفسه واستغلاله لتسريب معلومات كاذبة.. الغرض منها خداع العدو.. فيبنى خططه على أساسها..

كانت تلك وجهة نظر الرئيس السادات.. وكان من عادته فى تلك الفترة أن يجلس وحيدا بالساعات فى حديقة منزله الصغير بقريته صامتا مفكرا فى منفذ ينفذ منه إلى معركة سريعة مفاجئة حاسمة مع العدو لا مناص من أن تكون نهايتها النصر واسترداد الأرض.. فقد أصبح من الاستحالة أن يبقى الحال على ما هو عليه.. خصوصا وقد استنفذت كل سبل الحل السلمى..

كان أمام الرئيس «السادات» نقطتان.. وكان لابد من العمل أولا على صدهما.. الأولى:

هى تحديد مصدر تسرب المعلومات ليستفيد من ذلك المصدر بعد كشفه..

الثانية: احتياجه الشديد للمعلومات عن العدو فمن المعروف أن من أهم عناصر وضع خطة الحرب هى المعلومات المتوفرة عن الخصم.. وبما أن الرئيس «السادات» كان يعرف جيدا خطورة ما هو مجبر على الإقدام عليه.. وأنه لا بديل للنصر فى المعركة القادمة.. لذا كانت المعلومات اللازمة لوضع الخطة لابد وأن تكون دقيقة.. يعنى.. وعلى حد تعبير الزعيم

الراحل الذى قاله يومها للمرحوم المشير «أحمد إسماعيل» وهما يجلسان فى حـديقـه منزله بميت أبو الكوم: «يا أحـمـد أنا مش حـاطمن لأى معلومات تجينى عن الخصم إلا من بق أصحابها».

قارئى العزيز.. معروف أنه على قدر صعوبة جمع معلومات عسكرية عن الخصم.. إلا أن عمليات جمع المعلومات السياسية التى تترتب عليها الأعمال العسكرية.. لهى من أصعب عمليات المخابرات.. فالمطلوب فى مثل هذه النوعية من العمليات.. أن نعرف ما لدى الخصم من معلومات عنا.. وأيضا معرفة معلومات مؤكدة عن الخصم.. لذا فإن الزعيم الراحل لم يخطئ التعبير ولم يبالغ فيه عندما طلب المعلومات من فم أصحابها.

كان الضغط على تلك الجهة التى من مسئوليتها جمع المعلومات عن الخصم شديدا وفوق طاقة عقول البشر العاملين.. بها.. وكما قلنا من قبل إن الثعلب حينئذ كان مسئولاً عن قسم مكافحة النشاط الإسرائيلى.. إذن فـهـو المسئـول عن الحصـول على مـا يطلب من مـعلومـات.. وكـان هذا الضغط يصل إلى الثعلب ومعاونيه.. وكانوا يتحملون بوعى وفهم للظروف المحيطة بالبلاد.. لقد كان يطلب منهم المستحيل.. وكانوا يبذلون أقصى الجهد من أجل الوصول لذلك إلى أن أبلغ بذلك الطلب الذى فاق كل ما طلب من قبل «مطلوب معلومات من بق أصحابها» ولكن كيف أبلغ الثعلب بذلك الطلب.. لقد كان لذلك قصة طريفة.

ففى تلك الجلسة بين الرئيس «السادات» والمشير «أحمد إسماعيل» رئيس المخابرات العامة.. وعندما نطق «السادات» بتعبيره هذا: «يا أحمد أنا مش حاطمن لأى معلومات تجينى إلا إذا كانت من بق أصحابها» لحظة أن ذكر الرئيس «أنور السادات» قوله هذا.. أدرك المشير «إسماعيل» من

نظرات الرئيس «السادات» ومن لهجته أنه يريد فعلا ما طلبه.. وأيضا عرف الرئيس «السادات» فى نفس اللحظة من رد الفعل الذى ظهر لحظتها على المشير ما لم ينطق لسانه به وهو أن المطلوب مستحيل.. فأراد الرئيس «السادات» أن يكسبه لصفه.. فخاطب فيه العقلية العسكرية التى يستهويها الصعب من الأمور.. وبشىء من التمنى قال الرئيس «السادات»:

لو رجالتك قدروا يحققوا لى الأمنية الصعبة دى ساعتها أقدر أبدأ فى وضع خطة الحرب..

وطوال طريق العودة إلى القاهرة.. كان رئيس المخابرات العامة يفكر فيما طلبه منه الرئيس.. حقا خطته ستكون نتائجها مضمونة لو استطاع أن يحقق له طلبه.. وعندما وصل إلى هذا الحد من التفكير.. شعر الرجل بالإشفاق على رجاله.. أنه يطلب منهم ما هو مؤمن بأنه فوق طاقتهم.. ولكن فى نفس الوقت.. ما يفكر فيه الرئيس مغريا.. والحقيقة كانت الحيرة تنتاب الرجل طوال طريق العودة.. ومن تليفون السيارة اتصل برئيس الوحدة المختصة بالموضوع.. وطلب منه الاجتماع به فى المكتب.

ووصل الرجل إلى مكتبه.. وبرغم الإرهاق الذى كان واضحا عليه اجتمع برئيس الوحدة الذى طلب منه ترشيح من سيقوم بتلك العملية المطلوبة.. حيث رشح الثعلب.. فهو من أكفأ ضباط المخابرات العامة.. وله رصيد من العمليات الصعبة قام بها من قبل.. كما أنه الضابط المسئول عن مقاومة النشاط.

طلب المشير من رئيس الوحد تليفون الثعلب فهو يريد أن يتحدث معه بنفسه.. وذكر أنه متعب وسيطلبه من منزله إذا وجد نفسه مستعدا للقائه.

الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل.. لم يرد المشير أن يؤجل لقاءه للـ «الثعلب» لصباح اليوم التالى.. نظرا لانشغاله بمهام أخرى.. وكان قد وصل إلى منزله .. وأخذ حماما دافئا.. فشعر ببعض الراحة فرفع سماعة التليفون وطلب الرقم.. وبعد لحظة جاءه الرد من بعيد..

ـ آلو..

ـ أنت نايم..؟

ـ كنت..

ـ طيب أسيبك تكمل نوم..

ـ لا يا أفندم أنا صاحى

ـ عارف مين اللى بيتكلم؟

ـ طبعا يا أفندم..

ـ طيب فيه موضوع مهم عايز أتكلم معاك فيه شوية.

ـ آجى لسيادتك فين يا أفندم..

ـ أنا فى البيت.

ـ ربع ساعة أكون عند سيادتك.

ـ فى انتظارك.

الآن وقد التقى المحوران.. محور الثعلب وانشغاله فى مصدر تسرب المعلومات.. ومحور الرئيس «السادات» الذى اكتشف ذلك هو الآخر ويطلب تحديد ذلك المصدر لاتخاذه وسيلة للخداع.. وأيضا يريد معلومات عن الخصم على أن تكون من بق أصحابها.

من لحظة ترك الثعلب السماعة بعد انتهاء مكالمة رئيس المخابرات العامة له.. أرى أن أترك للـ «الثعلب» مهمة سرد ما حدث بينه وبين المشير

«أحمد إسماعيل».. فى تلك الليلة : قال الثعلب:

وضعت سماعة التليفون.. بعد تلقى مكالمة رئيس المخابرات العامة والتى كنت مستعدا لها.. فقد بلغت باحتمال حدوثها من رئيس وحدتى.. وبدأت بارتداء ملابسى وأنا متعجب لهذا الاتصال الذى بعد منتصف الليل..

ولو أنه عادى.. بيحصل لنا كتير.. إنما برضه كل مرة بنفكر.. وفكرت وأنا أرتدى ملابسى فى قول المشير: إنه يريد الحديث معى.. ثم قوله فى نهاية الحديث: إنه راجع من مشوار طويل ويشعر بالتعب.. وطرأ فورا على تفكيرى أن ذلك المشوار الطويل الذى يعود منه بعد منتصف الليل لابد وأن تكون تلك القرية الصغيرة بريف مصر.. إذن فذلك الاستدعاء غير الرسمى له أهمية خاصة..

وصلت إلى باب تلك الفيللا الصغيرة بمصر الجديدة.. ووجدت الحارس وكان لديه خبر بحضورى.. وانفتح باب الفيللا ودخلت الحديقة.. ثم إلى هول الفيلا حيث فوجئت بالمشير ينهض من ركن الهول الداخلى.. واصطحبنى إلى ذلك الركن الخافت الإضاءة.. حيث كان يجلس رئيس وحدتى.. وجلس الرجل بإرهاق.. على فوتيه مريح وأشار لى أن أجلس على الفوتيه الآخر أمامه.

لقد زادت طريقة استقبال المشير من حيرتى.. إننى الآن أمام رئيس المخابرا العامة المصرية.. وفى منتصف الليل.. وباستدعاء منه.. وبعد كل ذلك أراه على هذا الهدوء.. لقد تصورت أنى سأجد الرجل فى حالة قلق ومشدود الأعصاب بسبب شىء ما خطير فيه مساس بأمن الدولة حدث.. أو سيحدث.. ويبدو أن المشير قرأ أفكارى.. فأراد أن يطمئننى بتصرفات هادئة

منه.. وطلب لنا بعض المشروبات الساخنة.. واعتدل المشير فى جلسته المريحة ونظر إلىّ مبتسما ثم قال:

أنا سمعت عنك كتير.. وقريت معظم عملياتك.. على فكرة إسرائيل مادفعتش فيك كويس.. أنت رأسك تستاهل أكتر من كده..

وكان الثعلب يمتاز بخفة الدم.. وسرعة البديهة وبرد مرح مهذب فيه التواضع قال:

دول لو مشيوا على المبدأ ده ميزانيتهم مش حتكفى التعالب الكتير اللى موجودة عندنا..

ويضحك المشير لذلك الرد الذكى من الثعلب وأعجب أكثر بشدة تواضعه ثم دخل المشير فى الموضوع رأسا:

أنا جايبكم عشان نتكلم فى موضوع.. ونفكر فيه مع بعض بصوت عالى..

ثم سألنى فجأة:

أنت بتحب النجاح السهل؟

ووجدت نفسى أرد بلا تفكير:

ـ طبعا لا... مالوش طعم..

ـ يعنى تحب تشتغل فى الصعب.

ـ يكون أفضل لو كان فيما يسمى بالمستحيل.

ـ وهنا انتبه المشير وسأل:

فسر لى قولك فيما يسمى بالمستحيل.

ـ أنا أصلا غير مقتنع بأن فيه حاجة اسمها المستحيل.. كل حاجة

ممكن تيجى لو التفكير فيها كان بعمق.. وعلى أساس صح..

ـ يعنى أنت بتفضل أنك تقوم بالعمليات اللى بتوصف بالمستحيل.

ـ تقدر سيادتك تقول إنها هواية.

ـ يعنى بتشتغلها بمزاج..

وهو يضحك:

ـ تمام يا أفندم..

ـ وعشان كده.. أنت هنا دلوقتى.. لأنه من أقل من ساعتين طلب منى الريس طلب أنا عارف أنه بيدخل تحت بند المستحيل.. لكن أنا معرفش ليه فكرت فيك.. واستعرضت عملياتك الكبيرة ولقيت نفسى بديله أمل فى تحقيق المستحيل اللى هو عايزه.. الريس «السادات» عايز معلومات عن الخصم وعلى حد تعبيره «من بق أصحابها».

ثم أبلغنى بالمطلوب وهو اكتشاف مصدر تسرب المعلومات.. وكذا طلب الحصول على معلومات عن الخصم.. على أن تكون من بق أصحابها كما ذكر الرئيس «السادات»..

وهنا يعلق الثعلب ويقول:

كنت أستمع له وأنا مبهور بما أسمع.. وانتهى الرجل من حديثه وتوقف وشاهدت فى نظراته أنه قد انتهى من إلقاء الأمر الذى أراد أن يأمرنى به ولكن بطريقة غير مباشرة.

وصمت المشير للحظة.. فوقفت مع رئيس وحدتى مستأذنين فى الانصراف فمد يده وصافحنا.. وكأنه انتهى من إلقاء ما كان على عاتقه واستراح.. وقال.. تصبحوا على خير.. ربنا يوفقكم.

كانت باكورة خيوط النهار التى ما بعد الفجر قد بدأت تظهر فى السماء ذلك وأنا فى طريق عودتى إلى منزلى.. لقد قطعت المسافة وأنا ذاهب إلى منزل رئيس المخابرات العامة المشير فى أقل من عشر دقائق.. ولكن فى العودة قطعتها فيما يقرب من الساعة فقد عدت إلى منزلى الذى يقع فى مصر الجديدة أيضا.. ولكن عن طريق الهرم.. حقا لقد وجدت نفسى وأنا أقود سيارتى مجبرا على التفكير فيما سمعت فذهبت بى السيارة وأنا شارد إلى الهرم.. ولما فوجئت أنى أسفل الهضبة عكست اتجاهى وعدت فى طريقى.. وعاد لى الشرود حتى فوجئت بالسيارة تقف أمام منزلى.

عندئذ عرفت بماذا كنت أفكر.. أو على الأصح استوعبت ما قيل وخرجت منه نتيجة أنه لكى أنفذ المطلوب.. فإنه يجب على أن أخترق حزام أمن موساد إسرائيل.. وذلك لكى أحصل من داخلها على معلومات مؤكدة تبنى على أساسها خطة الحرب..

كان ذلك أول تفكير وصل إلى عقلى لتنفيذ ما هو مطلوب.. ولكن وكما يقال إن التفكير الثانى فى أى موضوع يكون أحسن وأكمل من التفكير الأول.. وحاولت أن أرجئ التفكير فيما هو مطلوب إلى الصباح.. ولكن وجدت عقلى لا يريد أن يتوقف.. حتى بعد أن دخلت حجرة نومى على أطراف أصابعى واستبدلت ملابسى.. وخرجت بنفس الهدوء لأجلس فى الشرفة فسمعت صوتا من داخلى يقول:

إنه المستحيل الذى من الممكن تحقيقه.. وكيف يتحقق.. كان الرد من عقلى.. نفكر ونفكر.. وإلى هنا لم أشعر بشىء إلا بزوجتى وهى توقظنى.. فقد غلبنى النعاس وأنا فى مكانى بالشرفة..



وصل الثعلب إلى مكتبه فى الصباح.. وبمجرد وصوله وجد استدعاء من رئيس المخابرات.. وهناك التقى بأربعة من أكفأ ضباط المخابرات.. وكانوا من تخصصات مختلفة.. حيث عرف من رئيس المخابرات أنهم فريق العمل الذى كون برئاسة المشير.. ومهمتهم مناقشة خطة العملية التى سيقوم الثعلب بوضعها.. وعمل التسهيلات اللازمة لتنفيذها.. كما أن المشير أصدر أمرا بإعفاء الثعلب من جميع المهام المكلف بها.. والتفرغ لإنجاز عملية «صقر سامع» وهو الاسم الكودى الذى أطلق على تلك العملية.. التى أخذت أعلى درجات السرية «سرى للغاية».

ظل الثعلب صامتا حتى انتهى رئيس المخابرات.. فطلب الكلمة وسمح له بها.. تحدث الثعلب مستأذنا فى إرجاء البدأ فى تنفيذ هذه العملية لمدة أسبوع.. فعليه السفر إلى إحدى دول أوربا للقاء عميل أجنبى على مستوى.. فهو أحد مصادره الهامة.. ووافق رئيس المخابرات على ذلك بشرط أن يستغل الثعلب هذا الأسبوع فى التفكير فى خطة العملية التى سيعرضها على لجنة العملية التى شكلت.

ويسافر الثعلب إلى تلك الدولة التى سيلتقى فيها بالعميل الذى ذكرنا مسبقا أنه على أعلى مستوى.. وأنه من أهم مصادر الثعلب السرية جدا فهو يعتبر مصدرا على مستوى دولى.. وذلك نظرا لعمله فى مكان حساس بإحدى الهيئات الدولية «غير مصرح بذكر الاسم» والذى كان سيحضر هو الآخر إلى هذه الدولة خصيصا لذلك اللقاء السرى بينه وبين الثعلب.

كان الثعلب طوال المسافة التى قطعتها الطائرة من مطار القاهرة إلى مطار تلك الدولة التى بها اللقاء.. وهو يفكر فى خطة لتنفيذ العملية الجديدة «صقر سامع».. وحقا ولأول مرة يشعر الثعلب بالخوف.. كان خوفه ناتجا من ذلك التفكير الذى سبق شعوره بالخوف..كان خوفه من أن يجد نفسه غير قادر على تنفيذ ما طلب منه.. فكيف يحصل على معلومات تفيد فى وضع خطة الحرب.. وتكون هذه المعلومات من بق أصحابها..

أعلنت المضيفة عن هبوط الطائرة أرض المطار وكانت تحذر الركاب من مغادرة أماكنهم إلا بعد توقف الطائرة.. وهنا توقف عقل الثعلب عن التفكير إلا فى الموضوع القادم بخصوصه.. وبمجرد أن هبط من الطائرة أصبحت عيونه تحيط بنفسه.. ليكشف بها أى مراقبة عليه.. بدا وكأنه مبرمج بحركات كشف المراقبة التى يقوم بها ليؤمن نفسه.. ولكن لماذا كان كل ذلك الحرص؟

إن رجل المخابرات عندما يقوم بعمله فى داخل بلده فإن واجبه الأساسى هو منع عملاء الخصم أو أى جهة أخرى من محاولات اختراق ثغرة فى حزام أمن الدولة بغية الوصول منها إلى معلومات يريدها.. أما إذا أصبح رجل المخابرات فى مهمة خارج بلاده.. فهو قطعا سيقوم بإحدى عمليات المخابرات السرية.. ليحصل من جرائها على معلومات يبغيها.

عفوا أيها القارئ فأنا أعرف أن ما ذكرته مسبقا ليس جديدا عليك فقد شاهدته فى أفلام سينمائية.. أو قرأته فى روايات مكتوبة.. ولكن ذكره هنا كان له ضرورة.. لأننى أمهد به لحدث قادم حدث يعتبره غير العارف.. ولا

الملم بما سبق ذكره عاديا وغير مهم ولكن الثعلب استغل ما حدث أحسن استغلال.. فأدى به إلى مفتاح ذلك الباب الذى كان مغلقا أمامه.. ألا وهو مفتاح باب تلك العملية الجديدة الصعبة.

لقد وصل الثعلب إلى الفندق الذى قد حجز به من القاهرة ولو أن أحدا يعرف الثعلب شخصيا لكان قد تعجب.. فقد تعامل مع موظف الاستقبال باسم آخر غير اسمه.. ومهنة أخرى غير مهنته..

وصعد الثعلب إلى حجرته.. وبعد أن خرج عامل الحقائب.. أغلق على نفسه من الداخل.. وبدأ فى عملية فحص للحجرة كإجراء وقائى لابد منه.. فرجل المخابرات الحق.. هو من يكون مصباح الشك الذى بداخله مضاء دائما.. واطمأن الثعلب تماما للمكان..

وقبيل موعد لقاء الثعلب بعميله بوقت كاف.. كان الثعلب يجوب حول مكان اللقاء ليلقى نظرة فاحصة على المكان.. وذلك بغرض تأمين مقابلته للعميل.. وحان موعد اللقاء.. ولكن لم يظهر العميل ولم تتم المقابلة.. وفى الموعد والمكان التاليين.. والمتفق عليهما من قبل يظهر العميل قادما إلى مكان اللقاء.. ويراه الثعلب.. وبنظرة فاحصة اكتشف أن عميله مراقب.. فانسحب الثعلب عن المكان بهدوء.

كان الثعلب بخبرته واثقا تماما الثقة من ولاء ذلك العميل الكامل له ولا يمكن أن يفكر حتى فى خيانته.. وهو يعرف أن العميل يلح فى لقائه بعيدا عن أعين مراقبيه.. كان الثعلب لحظة تفكيره هذا مضجعا على فراشه فى حجرته بالفندق ونظره شارد فى سقف الحجرة.. وبعد لحظات

من التفكير اتخذ الثعلب القرار.. وكان قراره أن يقوم بمغامرة.. ولكنها مغامرة محسوبة.

فمن المتفق عليه مسبقا بين الثعلب وعميله هو مكان إقامته فى تلك المدينة عندما يحضر إليها للقائه.. أى مكان لقاء العميل.. فالثعلب يعرف الفندق الذى ينزل به.

وهناك أمام ذلك الفندق الذى ينزل به العميل.. نراه قادما فى سيارة أجرة.. حيث يهبط منها ويدخل الفندق.. ويستلم مفتاح حجرته من موظف الاستقبال ويتجه إلى المصعد الذى يتوقف بالدور العاشر.. ويخرج منه العميل.. ويسير فى الممر الطويل.. وفجأة يفتح باب إحدى الغرف.. وتمتد منه يد قوية حيث تمسك بذراع العميل وتسحبه بقوة إلى داخل الحجرة.. وقبل أن يصرخ الرجل من خوف المفاجأة يجد نفسه وجها لوجه أمام الثعلب داخل حجرته المغلقة.. وبدلا من أن تنطلق صرخة من بق الرجل.. يأخذ العميل أنفاسه.. ويجلس على مقعد مريح بالحجرة محاولا استجماع أشلاء نفسه التى شعر أنها تبعثرت فقد كان به ما يكفيه من توتر لعدم لقاء الثعلب فى الموعد البديل هذا ما ذكره الرجل للـ«الثعلب» عندما استطاع أن يتحدث.

ويسأل الثعلب العميل عن سبب عدم حضوره فى الموعد الأول وبتلقائية واضح فيها الصدق.. يعتذر العميل للـ«الثعلب» لتأخره عن ذلك الموعد.. فقد كان خارج البلد فى مهمة لم يتمكن من الاعتذار عنها لأهميتها.. فقد أسند إليه التحضير لاجتماعات مندوبى بعض الدول التى اتفقت فيما بينها على نشاط ملاحى مشترك.

إن ضابط المخابرات الذكى يكون متيقظا دائما.. ولا يترك شيئا وسنعرف فيما بعد مدى الاستفادة التى استفادها الثعلب بسبب دقته فى عمله.. كان عليه أن يعرف أين كان العميل وما هى تلك المهمة الهامة التى كلف بها..

وكما قلنا من قبل إن الثعلب يجيد المراوغة.. وكان يهوى استخدام أصعب السبل للحصول على المعلومات.. ومن أصعبها هى عمليات الإثارة وهى عملية نفسية تمكن مستخدمها المتمرس عليها من الحصول على ما يبغى من معلومات من مصدرها دون أن يطلبها منه فيجعله يتحدث من تلقاء نفسه يقولها وهو لا يعلم أنه دفع إلى ذلك دفعا.. وكيف يحدث ذلك.. فهذا ليس ما هو نحن بصدده الآن..

وبالمناسبة ومن منطلق العلم فقط.. أن الجواسيس يتقنون عملية الإثارة هذه.. فهم يستخدمونها حتى مع الأفراد العاديين ليحصلوا منهم على أية معلومات يبغونها..

لنعود مرة أخرى إلى حيث ما كنا.. لقد علم الثعلب من عميله أنه كان يحضر لاجتماع بعض مسئولى الدول المتعاونة ملاحيا مع بلاده وأن هذه الاجتماعات تعقد فى بلد آخر سماها العميل «للثعلب».. وهى أيضا من دول أوربا.. وأن تلك الاجتماعات تعقد فى مقر إحدى شركات الملاحة العالمية الكبرى وهى شركة «تاور العالمية»، وأن هذه الاجتماعات يبحث فيها أمور التعاون والتبادل الملاحى بين تلك الدول..

كان ذلك العميل على مستوى عال من التدريب.. فبدون أى تلقين أو

طلب من الثعلب.. أحضر الرجل معه كشفا بأسماء مسئولى الدول الذين حضروا ذلك الاجتماع وكذا عينة من أوراق الصفحة الأولى من كل بلوك نوت كان موضوعا أمام كل عضو.

لقد اكتشف الثعلب سبب مراقبة العميل.. فمعروف أن كل من يعمل فى مكان حساس.. أو يقع عليه الاختيار ليكون ضمن الفريق الإدارى لأى اجتماع دولى لابد وأن يوضع من حين لآخر تحت المراقبة.. وذلك لضمان ولائه التام.. إذا فموضوع مراقبة العميل ليس فيه ضررا على علاقة الثعلب به أو عمله معه.

وتنتهى مغامرة لقاء الثعلب بعميله رغم وجود المراقبة عليه.. بتحديد موعد اللقاء التالى.. الذى حدد مكانه فى نفس الدولة التى تعقد بها تلك الاجتماعات.. مع اعتبار تلك الاجتماعات التى تعقد بتلك الدولة من ضمن الموضوعات المطلوبة من العميل.

ويعود الثعلب إلى مصر.. ويذهب توا إلى مكتبه الذى وصله قبل موعد بدء العمل.. فقد وصلت طائرته فى الصباح الباكر.. وبمجرد دخوله مكتبه بدأ عمله المتعلق بتلك المأمورية.. وكان أول ما فعله هو إرسال ما معه من أوراق وشرائط الورق الممزق الناتجة من ذلك الاجتماع إلى خبراء استخراج المعلومات فى الجهاز؛ ليقوموا بمحاولة إظهار آثار الكتابة المحفورة على الورق.. وأيضا يقوم الفريق الآخر المختص بالأوراق الممزقة.. بلصق هذه الشرائط الرفيعة جدا بجوار بعضها.. وتعجل الثعلب النتائج..

وبعد أقل من الساعة وصله تقرير يفيد بأن بتلك الأوراق ما يثير الشك فقد استطاع الخبراء المتخصصون أن يلتقطوا منها بعض الألفاظ المستخدمة

فى الأعمال السرية.. ولكن وللأسف لم يخرج من تلك الأوراق تقرير كامل له معنى.. وكان ذلك كافيا لكى يسطع ذلك المصباح الأحمر فى عقل الثعلب .. معلنا له الإحساس بالشك والأهمية.

وكان الثعلب يرغب فى أن يؤكد الشك باليقين.. فقام بإرسال كل ما لديه من معلومات عن ذلك الاجتماع الذى عقد فى إحدى دول أوربا إلى ذلك القسم المختص.. وهو قسم المعلومات.. وأيضا تعجل النتيجة التى كان بانتظارها عندما دق ذلك التليفون الداخلى بجواره.. ليرفع السماعة.. فيسمع صوتا يحمل التهنئة بسلامة الوصول.

وبعد دقائق.. كان الثعلب أمام رئيس المخابرات العامة يقدم له تقريرا شفهيا عما حدث..

عاد الثعلب إلى مكتبه.. وحاول أن يسترخى على مقعده ليغمض عينيه فاستمتع بغفوة استيقظ منها بعد دقائق.. مستردا نشاطه كأنه نام لساعات.. فقد كانت تلك طبيعته.. دقائق فقط كانت تكفى ليعود إليه نشاطه... وصفاء ذهنه.. الذى استقبل به التقرير الذى وصله من قسم المعلومات.. حيث انكب عليه بنهم.. يلتهم كلماته التى أشجته وكأنه يستمع لأحلى أغانى أم كلثوم التى يعشقها.. فقد كان التقرير يحتوى على الآتى:

أنه بالكشف على الأسماء التى احتواها الكشف الذى أرسله الثعلب لأرشيف اتضح أن المعلومات عنهم ملفتة للنظر فهم وعلى مختلف جنسياتهم من الذين كانوا ينتمون أصلا للسلك العسكرى فى بلادهم..

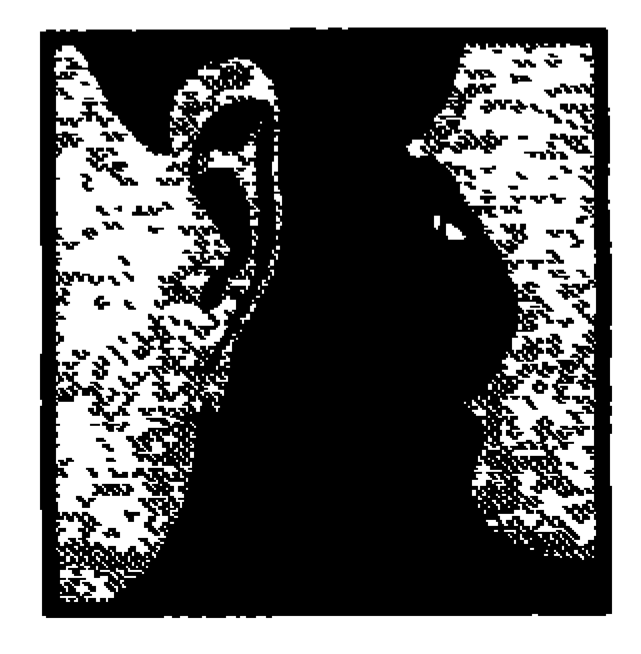
ويهتم الثعلب أكثر.. ويشرك معه ضباطا متخصصين فى عمليات البحث وبمضاهاة الأوصاف فى التقارير السابقة عنهم بالصور وبمطابقة

الأسماء مع المعلومات.. يجد الثعلب نفسه يقترب مما توقعه أو نقول مما تمناه.. فلو صحت توقعاته التى تراوده.. لأصبح يمتلك كنزا ثمينا منحه الله له فى موعده تماما..

وفعلا اكتملت الصورة.. وظهرت النتيجة النهائية.. فما توقعه وما تمناه الثعلب قد حققه له الله سبحانه وتعالى.. فقد اتضح أن جميعهم.. أى جميع أصحاب هذه الصور من العاملين فى مخابرات بلادهم ومنهم إسرائيل.. ومعنى ذلك أن الثعلب قد اكتشف أسماء الدول التى تجتمع قيادات مخابراتها مع قيادة الموساد من أجل تبادل المعلومات.. وأيضا اكتشف ذلك المكان السرى الذى تتم فيه تلك الاجتماعات.. وهو المقر الرئيسى لشركة تاور العالمية للملاحة فى تلك الدولة من دول أوربا.. شىء واحد كان ناقصا ألا وهو أن اسم توماس باول.. وهو أحدهم .. وقد عرف من عميله أنه مدير تلك الشركة ليس من بين أسماء ضباط المخابرات.. وعمل الثعلب حسابا لتلك المعلومة الناقصة.. سيستكملها فيما بعد.

وكانت أيضا المفاجأة الكبرى.. فقد اتضح للـ«الثعلب».. أن من بين تلك الدول.. دولا تبدى صداقتها وإخوتها وأخلاصها لمصر والمفروض أنها ليست لها أى علاقات أو تعاملات مع إسرائيل.. ومن هنا اتضحت الصورة الكاملة..؟

ترى.. ما هى تلك الصورة..؟





قبل أن أجيب على هذا السؤال الذى طرح نفسه أحب أن أوضح شيئا.. فمن المعروف أن هناك ما يسمى بتبادل المعلومات بين الدول.. وهذا التبادل يكون بين بعض الدول الصديقة..

ولكن مالفت نظر الثعلب في حالتنا هذه أن إسرائيل من بين تلك الدول، وأن هناك دولا أخرى من تلك الدول المجتمعة.. معروف أنها ليست على وفاق مع إسرائيل.. والأكثر أنها تعتبر من الدول الصديقة لمصر.

ولكن ها هى الحقيقة المرة قد وضحت.. ووضح أن من يعلنون إخلاصهم لمصر.. يخفون أيضا علاقاتهم بإسرائيل.. ويا ليت تلك العلاقة كانت بحكومة إسرائيل أو بساستها.. بل كانت بمخابراتها.. إذا فعلام ستكون تلك الاجتماعات.. قطعا على تبادل المعلومات.. وقطعا كان مندوبو تلك الدول يضعون ما لديهم من معلومات عن مصر على المائدة.. وقطعا كانت إسرائيل تلتهمها بشراهة.

لقد أصيب الثعلب بصدمة.. فرغم قوة حزام الأمن والأمان والذى بذل فيه كل الجهد بصفته المسئول عن مكافحة تسرب معلوماتنا إلى الخصم إلا أنه أحيانا.. كان يشعر بأن هناك تسربا لبعض المعلومات.. وكان دائما يسعى لكشف مصدر هذا التسرب رغم أن نسبة تسرب تلك المعلومات غير مخيف وليس مؤثرا كان هذا هو الشق الأول من وضوح

الصورة.. أما الشق الثانى من وضوح الصورة.. فهو أنه برغم المرارة نتيجة ما اكتشف.. إلا أننا نستطيع أن نقول إن الثعلب قد أصاب عصفورين بحجر واحد.. فقد اكتشف مصدرا تتسرب منه المعلومات إلى الخصم.. وأيضا توصل إلى مفتاح العملية الجديدة الذى سيتمكن عن طريقه من الحصول على المعلومات التى يطلبها الرئيس «السادات» مشترطا أن تكون من «بق أصحابها» وقدم الثعلب تقريرا شاملا مركزا.. وبناء عليه أسرع المشير «أحمد إسماعيل».. فى طلب مقابلة الرئيس «السادات» مقابلة عاجلة.

كان الرئيس «السادات» فى تلك الأيام يقضى معظم وقته فى بيته الصغير «بميت أبو الكوم».. وكما قلنا من قبل أنه يلجأ إلى هناك ليتفرغ للتفكير.. فقد كان قد قرر فعلا دخول المعركة.. ووصل رئيس المخابرات إلى هناك قرب الغروب.. وقرأ على الرئيس «السادات» تقرير الثعلب .. الذى سمى فيه الدول والتى تعجب الرئيس «السادات» عندما سمع أسماءها أشد التعجب وخاصة تلك الدولة الصديقة.

سمع الرئيس «السادات» من رئيس مخابراته ما سمع.. فصمت فاحترم المشير صمت الرجل رغم طول فترته.. وكما ذكر المشير «إسماعيل» فى يوم ما بعدها «لقد طالت مدة الصمت مما يدل على أن الرجل قد دخل مرحلة التفكير بعمق.. ومن وضوح مظاهر عمق التفكير التى كانت مرسومة لحظتها على وجهه.. خيل لى أنه قد انفصل حتى عن نفسه».

ويستكمل المشير حديثه: «وعندما لمعت عينا الرئيس «السادات» فجأة وظهرت تلك الابتسامة المميزة على فمه الذى كان فى ركن منه ذلك البايب الذى لم يتوقف دخانه لحظة.. هنا عرفت أن الرئيس «السادات» قد

عاد من رحلة التفكير.. وعرف هو أيضا أنه تركنى وذهب بعيدا لفترة.. فنظر إلى قائلا: «آسف يا أحمد.. سبتك شوية».. وكان ردى عليه بشىء من الحرج: «أنا اللى آسف يا سيادة الريس لأنى جتلك بمعلومات تضايقك»..

وكان رد «السادات»: هى فعلا معلومات تضايق.. إحنا وقعنا فى خطأ.. ويعلم الله خسرنا فيه قد إيه.. وكسبوا همه مننا بيه قد إيه.. هو شىء يخوف.. يرعب.. أنا فكرت.. لقيت أننا مش لازم نوقف الخطر اللى نتج عن ذلك الخطأ وبس.. لا.. إحنا لازم نستفيد من الخطأ ده.. ونقلب الحكاية.. يعنى نحولها من الضرر إلى الصالح.. وينحنى الرئيس إلى الأمام قليلا وكأنه يريد أن يقترب أكبر من محدثه.. خليك معايا يا «أحمد».. أنا شايف إننا نقدر نعرف إيه اللى أخدوه مننا من معلومات ولو أنى عارفه.. لأنى أنا صرحت لهم ببعضه.. أنا حاصرح لهم تانى ببعض المعلومات من منطق الصداقة اللى بينا.. بس المعلومات الجديدة حتمسح القديمة بأستيكة.. أما المعلومات الجديدة دى فهى حتكون مناسبة للخطة اللى حنحطها.. وبكده نبقى نقدر نقول إننا عوضنا خسارتنا.. وكسبنا كمان.. وده عليه أنا.. لأنه فى إيدى.

ثم يشرد بنظره إلى مالا نهاية وبعمق يقول: نقدر نقول دلوقتى إنه هناك.. فى مكان ما بإحدى الدول الأوربية فى مبنى شركة ملاحة عالمية اسمها تاور للملاحة.. كنز من المعلومات.. لو قدرنا نوصله ونفتحه حيبقى فيها الخلاص من الحالة اللى إحنا فيها دى.. حالة اللاسلم واللاحرب.. وده فى إيد رجالتك.

ثم اكتسا وجه «السادات» بتعبير التمني.. وشرد وكأنه يستعد لحلم يقظة.. ونطق بأمله وأمنيته بعمق داخلي قائلا: أنا يا «أحمد» باحلم.. بأن يكون ليه كرسي قاعد عليه بينهم في اجتماعاتهم دى.. أسمع.. وأشوف.. من غير ما حد منهم يحس بيه ولا يشوفنى..لو اتحقق ليه الحلم ده.. يبقى حاقدر العب لعبتى.. المعلومات اللى عندهم حغيرها.. والمعلومات اللى حعرفها عنهم حاستغلها ضدهم.. حاخدعهم.. وحفاجئ العالم بحرب خاطفة مفاجئة حيكون النصر فيها بإذن الله.. لنا..

ثم يعتدل «السادات».. كأنه يفيق من حلم يقظة كان يستمتع به.. ونظر لوجه المشير ويبدو وكما سرد المشير يوما أنه وجد به الانبهار والدهشة فأراد أن يخفف عليه بعد أن تنهد بعمق.. يظهر أنى سبت نفسى للأحلام.. وبعدت عن الواقع.. وبهدوء الواثق.. وبثقة الرجال.. تحدث رئيس المخابرات.. معقبا على ما قاله «السادات»:

تعقيبى على اللى سمعته.. واللى شوفته من سيادتك دلوقتى.. إن عندنا فى المخابرات العامة رجالا يمكنهم عمل المستحيل واللى أقدر أقوله لسيادتك قبل ما أمشى من هنا إننا بإذن الله سوف نحقق ما تطلبه.

لقد استمع الثعلب مع أعضاء اللجنة من رئيس المخابرات لتفصيلات ما حدث فى ذلك اللقاء.. وقد زاد ذلك من رفع الروح المعنوية لديهم وأعطى له دافعا قويا من أجل تحقيق ما يتمناه الرئيس.. لقد استكمل رئيس المخابرات حديثه بقوله:

أنا لما كنت بقول للريس إن عندنا رجالة ممكن يعملوا المستحيل.. كنت صادقا.. لأنى عارف قدراتكم وإمكانياتكم.

عاد الثعلب إلى منزله بعد ظهر ذلك اليوم.. وأثناء تناوله الغداء مع زوجته وأطفاله فاجأهما بأن عليهما أن ينتهيا من الغداء بسرعة ويستعدان للخروج معه ومع والدتهما وترك لهما اختيار النزهة التى يرغبان فيها شرط أن يحجزا ساعة لزيارة جدتهما والدة الثعلب .

لقد فهمت الزوجة من تلك المفاجأة شيئا.. فهمت أن زوجها الثعلب من باكر سيكون بعيدا عنها وعن الأولاد.. فهى تعودت تلك الطقوس التى يقوم بها زوجها الثعلب عند بدأ مهمة جديدة يكلف بها.. فقط سألت إذا كانت تجهز له حقيبة السفر أو حقيبة المكتب.. وعندما ابتسم الثعلب وأجابها بتجهيز حقيبة المكتب..

عرفت الزوجة أن زوجها سيبدأ فترة اعتكاف يعيشها فى مكتبه لا يخرج منه إلا للضرورة القصوى.

وقضى الجميع أمسية لطيفة أسعدتهم.. ثم عادوا إلى المنزل وفى الصباح الباكر كان الثعلب ينطلق بسيارته إلى مبنى المخابرات العامة حيث دخل مكتبه وبدأ معسكر الاعتكاف ومعه فريق العمل الذى كلف بالعملية.

وكان الغرض من معسكر الاعتكاف هذا.. هو إعطاء فرصة لنفسه كى يذوب فى دروب تلك العملية المكلف بها.. وليفكر فيها بلا مقاطعة من أحد.. وأيضا لكى يجد بسرعة ردا على أسئلته التى يسألها لنفسه فى أى من المجالات التى تعن له.. فيحصل على إجابة سريعة عليها من الأقسام المختلفة وهو فى مرحلة وضع خطة العملية ذلك مع اعتبار أن مكتبه أصبح منطقة محرمة على أى أحد سواه.. لدرجة أنه كل صباح كان يقوم بعملية التنظيف بنفسه.

فى ذلك المكان عاش الثعلب وزملاؤه أيام الاعتكاف حتى الانتهاء من وضع الخطة.. وكان الثعلب ينام وقتما يتعب ويستيقظ ليعمل وقتما يصحو.. ولا يأكل إلا بعد أن يشعر بقرصات الجوع.. كان هو الذى يتصل ببيته وقتما يتذكر ليطمئن على أولاده وزوجته.

هذه هى حياة ذلك الثعلب فى تلك الفترة.. التحضير ووضع الخطة التى تعتبر من أهم مراحل العملية.. فهى الأساس الذى يسير عليه التنفيذ..

فالثعلب عندما يدخل إحدى عملياته لابد وأن يكون واضعا نصب عينيه كل شيء.. ويكون لديه أجوبة لكل سؤال.. خاصة ما يؤثر على أمنه أو أمن العملية التى يقوم بها..

كان الثعلب قد وصل فى أيام اعتكافه إلى مرحلة اختيار الشخصية المناسبة التى سيقوم بها.. ولكن حدث ما اضطر الثعلب لقطع اعتكافه قبل أن يصل لخيار مناسب.. وذلك للقيام بواجب العزاء.. فقد وصله نبأ وفاة «عصمت عبد الله».. وهو قريب لأحد أعضاء اللجنة المشكلة لمتابعة العملية.. وفى نفس الوقت.. كان صديقا للـ«الثعلب ».

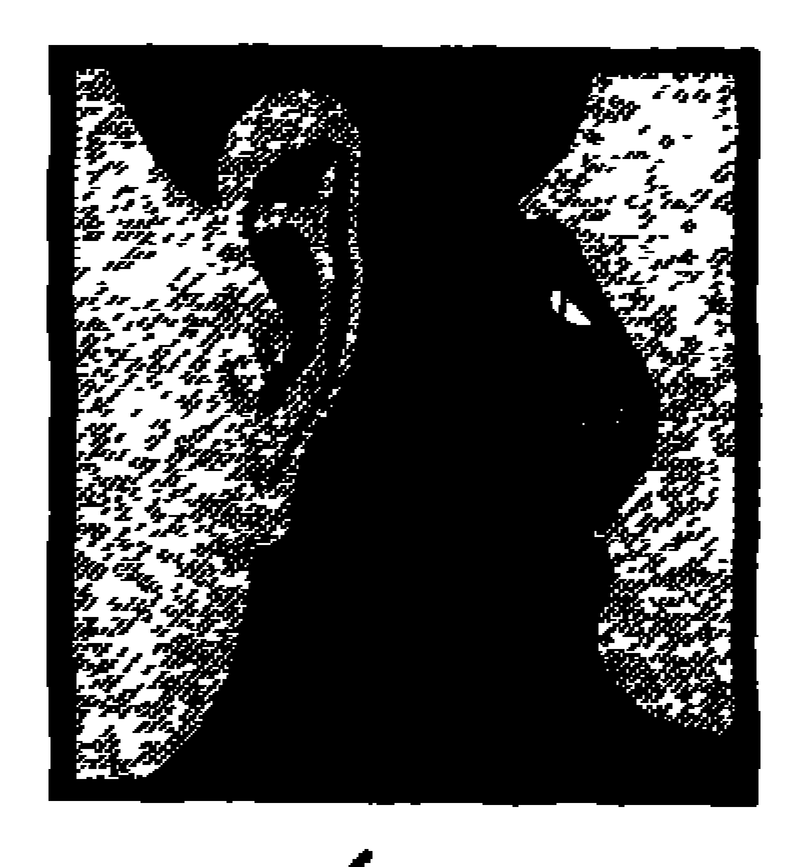
وكان المرحوم يحتل منصب رئيس مجلس إدارة شركة «جبران للملاحة» تلك الشركة التى يمتلك معظم أسهمها أفراد عائلة عضو لجنة متابعة العملية.. وعلم الثعلب من زميله عضو اللجنة.. أن وفاة «عصمت عبد الله» يشكل مشكلة للعائلة.. فقد كان على المرحوم أن يسافر فورا فى جولة عمل بأوربا لتنسيق وتسويق ملاحى مع شركات أخرى.. وإذا لم تتم تلك الجولة فى موعدها ستكون خسارة الشركة كبيرة.

وبعد جهد عين من يدعى «شوكت فهمى» رئيسا لمجلس إدارة شركة «جبران للملاحة.. والذى طلب من أفراد العائلة ملاك الشركة مهلة أسبوعا ليتمكن من الحصول على إجازة بدون مرتب من عمله.. وأيضا ليستعد للسفر.

ومضى أسبوع.. كان بعده الثعلب في مكتب رئيس المخابرات مع اللجنة التى وافقت على الخطة التى وضعها لتنفيذ المرحلة الأولى من العملية.. وصدق رئيس المخابرات على الخطة.. وصافح الثعلب متمنيا له التوفيق فى مهمته.

استقل الثعلب سيارته وخرج بها من بوابة المخابرات العامة.. فشعر أنه متشوق لقضاء باقى اليوم بالخارج مع زوجته وأبنائه.. فسفره سيكون فى اليوم التالى.. وفعلا أمضى الثعلب مع عائلته الصغيرة يوما جميلا.. وفى المساء ذهبوا إلى البيت الكبير.. وهو بيت الحاجة والدته ليودعها.. حيث قضى أمسية دافئة واجتمع فيها بعدد من أفراد أسرته.

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى.. كانت حقيبة السفر التى جهزتها الزوجة قبل نومها موضوعة فى ركن بجوار باب الشقة حيث ودع زوجته وأبناءه وتوجه إلى المطار..





فى مقعد وثير بين السماء والأرض.. ومن خلال نافذة تلك الطائرة العملاقة.. كان «الثعلب» يتأمل تلك الغابة من السحب مسبحا بقدرة الله فى خلقه وملكوته.

واجتازت الطائرة منطقة السحب.. فكان ذلك الفراغ اللانهائي.. وحيث شرد «الثعلب» فى مالا نهاية من الأفكار.. ولم يقطع عليه شروده هذا إلا صوت رقيق.

ويلتفت «الثعلب» إلى مصدر ذلك الصوت الجميل.. فإذا بها مضيفة حلوة من بنات النيل.. ويصدر منها مرة أخرى ذلك الصوت الرقيق.. تصاحبه هذه المرة تلك الابتسامة الجذابة.

ـ تحب حضرتك تاخد درنك؟

ويرد عليها «الثعلب»:

ـ يا ريت عصير ليمون.. وتبتعد المضيفة..

ويبدو أن تلك السيدة الأجنبية التى تجلس بالمقعد المجاور للـ«ثعلب» قد أصابها ملل السفر فأرادت أن تقطعه بالحديث مع «الثعلب».. وبلغة إنجليزية وجهت إليه الحديث:

ـ حضرتك مصرى؟

ـ أيوه..

ـ بلدكم جميلة..

ـ دى مجاملة لطيفة منك..

ـ أنا بربارا فرانك إنجليزية.

ـ وأنا شوكت فهمى.

ـ ضرورى حضرتك، بزنس مان.

ـ تقريبا.

ـ أنا سكرتيرة لأحد رجال الأعمال فى لندن. وأقدر أعرف رجل الأعمال من شكله وتصرفاته.. أعمال حضرتك إيه؟

ـ أنا أعمل فى الملاحة البحرية..

وبعد تبادل الكروت للتعارف دار بينهما حديث طويل عن الملاحة فى مصر وأيضا فى العالم وكان الثعلب يتحدث بطلاقة كخبير فى هذا المجال فعلا.

أظن وضح لنا الآن أن العمل الذى اتخذه الثعلب ليغطى حقيقته أثناء عمله فى تلك العملية «صقر سامع».. هو أنه رجل أعمال بحرية وملاحة.. ولكن لماذا هذا الاختيار بالذات.. وكيف تأتى للـ «الثعلب» تفكيره فى هذه المهنة.. هذا ما سأوضحه..

كان الثعلب فى أواخر أيام اعتكافه يفكر فى اختيار العمل المناسب الذى سيخفى خلفه شخصيته الحقيقية أثناء عملية «صقر سامع».. وعقب وفاة «عصمت عبد الله» صديقه.. وقريب أحد أعضاء اللجنة المتابعة للعملية.. حيث ظهرت فى أسرة الأخير المالكة للشركة مشكلة من سيحل محل المرحوم فى إدارة الشركة حيث إنه وكما قلنا من قبل.. كان مقررا له السفر بعد أيام لارتباطه بأعمال مع بعض شركات الشحن.. لذا كان من الواجب سرعة اختيار خليفة له.. ويجهز بأسرع وقت للسفر من أجل عملية الارتباطات هذه.. وإلا سيضيع الموسم على الشركة وفى ذلك خسارة كبرى.. فخطر فى عقل الثعلب خاطر.. كان مفيدا للعملية التى يجهز لها.. يستطيع به أن يستكمل مراحلها.. وفيه وعلى حد التعبير

الشـائع بين رجـال المخـابرات.. «الكفـاءة وكل الأمن» كـفـاءة المهنة التى سيخفى خلفها عمله السرى.. فهو سيتعامل مع هدف يخفى حقيقة عمله السرى خلف ساتر مهنة الملاحة..

والتى كانت لديه فيها بعض الخبرة بصفته ضابط بحرية سابق.. وإن ذلك المبنى الذى تعقد فيه تلك الاجتماعات التى تجمع بين قادة الموساد وقادة مخابرات بعض الدول الصديقة لها وذلك من أجل تبادل المعلومات يتخذ صفة شركة ملاحة وبواخر عالمية.. وها هو الثعلب في مقدوره الآن أن يكون رئيسا لشركة ملاحة معروفة وتعمل فى ذلك المجال منذ سنوات فتوليه منصب رئيس شركة «جبران للملاحة».. سوف يتيح له حرية الاتصال بشركات الملاحة والبواخر العالمية ومن بينها «تاور للملاحة» مما سوف يساعده فى تنفيذ العملية بأمن وكفاءة.. فلماذا لا يحاول أن يستغل الفرصة التى أمامه لصالح العملية؟

لقد أسرع الثعلب يعرض الأمر على اللجنة المكلفة بمناقشته فى خطة العملية.. تلك اللجنة يرأسها رئيس المخابرات.. فليحصل الثعلب على إجازة بدون مرتب من عمله.. ونوقش هذا الموضوع بوعى كامل وبذكاء ومرونة من أعضاء اللجنة.. وحصل الثعلب على الموافقة.

أخذ الثعلب الموافقة.. وبقى شيء واحد مهم.. وهو أن يرشح من عضو اللجنة لأفراد عائلته لتولى منصب رئاسة الشركة.. وتولى العضو ذلك ونجح فى إقناع عائلته فقبلوا.. وبالتالى أصبح لدى الثعلب العمل الحقيقى والذى له جذور.. والذى سيخدم العملية المكلف بها.

وقبيل سفر الثعلب .. صدرت عدد من التلكسات من مكتب شركة «جبران للملاحة» إلى عدد من شركات الملاحة.. والشحن فى الدولة المتجه إليها الثعلب .. تنبئ بوصول رئيس مجلس إدارة الشركة الجديد.. الذى حل محل المدير المتوفى.. وذلك من أجل التعارف ومناقشة

الأعمال.. وأيضا وصل عدد من التلكسات إلى عدد من الشركات التى لم يسبق للشركة المصرية التعامل معها تفيد برغبة الرئيس الجديد لشركة جبران للملاحة.. زيارة تلك الشركات ولقاء مديريها وذلك لبحث الاشتراك فى أعمال ملاحية بين الشركتين.. وكان من بين تلك الشركات التى ردت بالموافقة وطلب تحديد موعد الزيارة هى شركة تاور العالمية وهى هدف الثعلب وأرسل ردا بالموعد المقترح فى التلكس المرسل وكان فور وصول طائرة الثعلب للمطار حيث سينتظره مندوب الشركة هناك.

كان هذا ما حدث فى تلك الأيام القليلة التى مرت من لحظة وصول نبأ وفاة «عصمت عبد الله».. إلى يوم أن سافر بديله «شوكت فهمى» أو الثعلب .

مازالت طائرة الثعلب بين السحاب.. حيث ينظر حوله فيرى أكثر الركاب نياما.. فيسند رأسه على مسند المقعد ويغمض عينيه.. لا ليذهب فى غفوة.. بل ليحاول التركيز.. فهو يجهز نفسه للعمل فور وصوله.. فمعنى ذلك المكان أن الثعلب سيدخل ذلك المكان الذى يقصده .. وأنه سيشاهد بنفسه كل مافى ذلك المكان المزدوج الغرض.. فالعمل العلنى فيه يخفى العمل السرى الذى يتم به.

ودخول الثعلب سيكون مفيدا جدا لتنفيذ العملية.. لأنه من المعروف أنه لن ينتصر محارب يجهل طبيعة أرض معركته التى سيحارب عليها.

لذا فإنه ولابد وأن يكون على هذا المكان قيودا أمنية من أدق وأقوى ما يمكن.. بل من أخطر ما يمكن أيضا.. وخطورة هذه القيود تكمن فى أنها مختفية فلن تجد من يستوقفك ليسألك عن شخصك أو سبب دخولك.. بل تأكد أنه بمجرد الدخول من الباب فأنت تحت السيطرة بواسطة الكاميرات الخفية..

والتى تستطيع إظهار حتى خلجات الوجه إذا ارتعش.. وإن من يجلس أمام شاشات تلك الكاميرات هم خبراء فى اكتشاف ما بداخل أى داخل أو متردد على المكان يظهر عليه أى تردد أو اضطراب.

كان الثعلب بخبرته يعرف ذلك.. فبدأ يتذكره.. ويجهز نفسه له، فالغرض من قيام الثعلب بتلك المعاينة هو اكتشاف هذه الأجهزة الإلكترونية المختفية وأماكنها.. فذلك سيفيد فى المراحل المتقدمة القادمة.

أما الأهم والأخطر.. فهو أنه سيلتقى بمدير تلك الشركة الذى عادة وفى مثل هذه الأحوال يكون أحد أفراد العمل السرى الذى يجرى فى خفاء ذلك المكان.. أى أنه سيلتقى بأحد قواد مخابرات إحدى الدول التى تتخذ من ذلك المكان ستارا لاجتماعاتها السرية مع مخابرات إسرائيل.. والمعروف أيضا أنه عادة ما يكون من مخابرات الدولة المالكة فعلا لهذا المكان.. ومن المرجح لدى الثعلب أنها إسرائيل.

معنى ذلك أنه سيلتقى مع أحد ضباط مخابرات إسرائيل.. فالموساد هى التى تنشئ الشركات والمكاتب التجارية فى بعض الدول.. أولا للاستفادة بدخل العمل الحقيقى فى الصرف على عملياتها السرية.. ثانيا لكى تستغل هذه الأماكن كأماكن سرية لنشاطها ومقابلاتها مع عملائها.. وعقد الاجتماعات السرية فيها.. هذا هو تكنيك إسرائيل فى العمل حينئذ.. وعلى العموم.. إن الثعلب سيدخل هذا المكان وخبرته تسمح له بتحديد ملكية إسرائيل له من عدمه وذلك من بعض المظاهر التى يعرفها بخبرة عمله فى متابعة هذا النشاط وهنا يتضح مدى جرأة الخطوة الأولى من الخطة التى وضعها الثعلب .

ولك بعد ذلك يا قارئى أن تتخيل مدى الحساسية التى سيكون عليها الاثنان فى هذا اللقاء.. فعلى الثعلب أن يتعامل بحيث لا يكشف من أمامه حقيقة أمره.. وأن من أمامه هذا من واجباته أن يتأكد ويطمئن لمن

يلتقى به.. ومن هذا الوضع لك أن تتصور مدى حساسية وخطورة ذلك اللقاء.. وبالتالى تلك المرحلة.

وصل الثعلب إلى صالة الوصول بالمطار.. وكان قد أنهى إجراءاته وبالقرب من بوابة الخروج.. كانت فتاة جميلة ترتدى يونيفورم مميزا وعلى جيب فى صدر جاكت التايير الذى ترتديه كان اسمها «اوليفيا بياجو» واسم الشركة التى تعمل بها «تاور للملاحة العالمية» لقد كان جمالها ملفتا للنظر أكثر من اللافتة التى تحملها.. ولكن الثعلب لم يلهه جمالها رغم شعوره داخليا بالإعجاب به.. إلا أنه نظر إلى اللافتة.. حيث كان اسمه مدونا عليها..

تقدم الثعلب من الفتاة وعرفها بنفسه على الفور عرفته الفتاة بنفسها أنها «أوليفيا» سكرتيرة مدير شركة «تاور للملاحة» العالمية وكان ذلك أثناء سيرهما حتى خرجا من المطار حيث كانت سيارة فاخرة فى الانتظار استقلها الثعلب و«أوليفيا» بجواره وانطلق بهما السائق إلى المدينة.

وفى الطريق كان حديث بينهما.. حيث تحدثت معه عن مصر ومعالمها السياحية فقد زارتها عدة مرات.. وكانت من أهم أسئلتها سؤالها عن سنوات عمله بالملاحة.. فأجابها أنه من عائلة الملاحة والأعمال البحرية فى دمها ميراثا من الجدود.. وعندما سألته عن عمله السابق.. استطاع الثعلب ألا يرد عليها بطريقة طبيعية حيث بدأ يسألها هو فى نفس الوقت عن نفسها.. كما لم ينس كجنتلمان أن يبدى إعجابه بجمالها وتسعد «أوليفيا» بهذا الإطراء وتشكره عليه.

ثم أعادت سؤالها عن عمله السابق.. ورد عليها الثعلب هذه المرة وبطريقة طبيعية جدا: ضابط بالقوات البحرية المصرية.



وتتوقف السيارة التى يستقلها الثعلب أمام مبنى عليه لافتة باسم «شركة تاور للملاحة العالمية» وأسرع السائق ليفتح باب السيارة بكل أدب للثعلب..

وفى نفس اللحظة.. كانت «أوليفيا» قد قفزت برشاقة من الباب الآخر.. وأصبحت إلى جوار الثعلب فأشارت إليه على مدخل الشركة.. وقبل أن يدخل الثعلب المكان.. كانت بانوراما من عينيه قد مسحت المنطقة بزاوية ٣٦٠ درجة.. وبذلك يكون الثعلب قد صور المكان الذى به الهدف بعينيه.. ويكفيه تلك النظرة لتمكنه من إعادة رسم المنطقة بكل تفاصيلها مرة أخرى من عقله..

كان المبنى يقع فى أحد الشوارع الهادئة المتسعة.. وعلى الجانبين فيلات من طابق واحد أو طابقين وجراج وحديقة صغيرة أمامه.. أسفل المبنى كانت كافتريا.. يطل الجالس بداخلها على الشارع من خلال زجاجها..

تقدم الثعلب ليدخل المكان.. وكان قد استحضر حاسته السادسة التى تتواجد فى معظم رجال المخابرات.. وهى أيضا موجودة فى بعض الأفراد العاديين.. ولكن عادة تكون خاملة.. أما رجل المخابرات إذا لم تكن نشطة فيه فإنهم يعملون على تنشيطها له.

أما الثعلب.. فإن تلك الحاسة موجودة وعلى أعلى مستوى من النشاط

بل الأكثر أنه يستطيع أن يتحكم فيها فيستحضرها بكل نشاطها عندما يريد..

وكان قد استحضرها.. فشعر بمجرد دخوله بإحساس ما.. كان يتوقعه.. ولكنه الآن يؤكده.. وهو أن ذلك المكان يخفى فيه نشاطا غير نشاطه الواضح.. وأنه مكان ممتلئ بالإلكترونات الكشافة والإنذارات الخداعية.

كان الثعلب قد دخل رسبشن الشركة.. وكان من الفخامة التى تليق بشركة عالمية للملاحة.. خصوصا ذلك النموذج المصغر لإحدى بواخر الشركة داخل حوض زجاجي مغلق بطول جدار الرسبشن حوالى أربعة أمتار.. وبعرض يكفى لقيام نموذج الباخرة بعمل مناورة على شكل حرف U لتعود فى عكس الاتجاه.

لقد لاحظ الثعلب تلك العدسات الخفية المركبة فى ذلك النموذج والتى تمسح مع حركته ومناورته لتغيير اتجاهه بنقل صورة صادقة لكل المكان.. إن ذلك النموذج لتلك الباخرة هو أول أجهزة الأمن التى تستقبل كل من يدخل ذلك المبنى..

فهذا النموذج المصغر لتلك الباخرة عبارة عن تحفة فنية لا تملك إلا أن تقترب منها برغبتك.. لتتمعن فيها عن قرب .. ولتلتقط لك هى صورة مكبرة.. ليتمعن فيها ذلك الخبير المختفى خلف عدساتها ليدرس كل خلجة من خلجات وجهك..

إن الثعلب بحاسته وخبرته قد فطن لذلك من أول وهلة.. وكان من الممكن ألا يعرض نفسه لعدسات ذلك النموذج.. ومع ذلك اقترب منه كأى زائر يدخل المكان ويلفت نظره نموذج تلك الباخرة فينجذب إليه..

ولك أن تعلم أيها القارئ.. أن ما فعله الثعلب فطنة منه فإذا لم يتعامل بتلك الطريقة.. لكانت قد سجلت عليه أولى بوادر الشك فيه..

وإذا كان من الممكن لحظتها أن نرى وجه الثعلب فى أكبر حجم على شاشة ذلك المونيتور..لوجدناه طبيعيا جدا.. فقط مرسوم عليه مدى الانبهار بذلك النموذج التحفة لتلك الباخرة..

وقبل أن ينصرف الثعلب من أمام ذلك النموذج.. أبدى إعجابه الشديد به للسكرتيرة «أوليفيا».. ثم سار خلفها إلى الداخل.. فقد مر بمكاتب التعامل مع الجمهور.. ثم مر بعد ذلك فى ممرات الشركة.. والتى لاحظ فيها الثعلب بعض الشراك الخداعية الإلكترونية.. بالإضافة إلى الكاميرات المخفية المنتشرة فى كل مكان..

وتقف به السكرتيرة أمام مصعد واضح أنه مخصص للمدير.. ولاحظ أنها ضغطت على الدور الأول.. ولكن الثعلب استطاع أن يحسب الثوانى التى مرت حتى وقف المصعد.. وبحسبة صغيرة فى عقله عدد الثوانى مع عدد أمتار ارتفاع الدور الذى لاحظه من الخارج على سرعة المصعد التقريبية فاستطاع أن يؤكد لنفسه أنه يوجد طابقا مسحورا بين الدورين.. ذلك رغم عدم مشاهدة باب بين الدورين.

ولو كانت «أوليفيا» تقف فى المصعد فى غير المكان التى تعمدت الوقوف فيه.. لكان الثعلب بقوة ملاحظته قد شاهد ذلك الزر الصغير جدا فى الجانب الآخر المواجه لباب المصعد .. إن ذلك الزر لو ضغط.. فإنه يوقف المصعد أمام الدور المسحور بين الدورين ولكن من الناحية العكسية لباب المصعد.. رغم أن هذا الجانب شكله لا يوحى بأنه يفتح.

لقد حدد الثعلب هدفه من تلك البناية.. فمن المؤكد أن ذلك الدور المسحور يحتوى على مقر الاجتماعات السرية التى تعقد وأيضا لابد وأن تكون غرفة العمليات التى تسيطر على كل هذه الأجهزة الالكترونية للمراقبة والتصوير والاستماع والتسجيل وأيضا كنترول الخدع الإنذارية الأمنية.. أيضا فى ذلك الطابق.. ولكن أين مدخله كان هذا ما ينقص الثعلب.

دخلت «أوليفيا» بـ الثعلب مكتبا فخما.. رحبت به فيه على أنه مكتبها.. وطلبت منه أن يستريح أمامها على مقعد وثير.. وذلك لحين إبلاغ مستر «توماس باول» مدير الشركة.

قامت «أوليفيا».. ودلفت من باب داخلى موصل لمكتب المدير وظل الثعلب بمفرده.. ومن الطبيعى جدا عندما يوضع شخص فى موضع الانتظار أن ينظر حوله متأملا المكان. وهذا ما فعله الثعلب لأنه تصرف عادى.. ولكن عندما وصل نظره إلى مكتب «أوليفيا».. وجد من بين الدوسيهات الموجودة على المكتب وبالقرب منه. وفى متناول يده دوسيها مكتوبا عليه وبطريقة واضحة «سرى» وبالقرب منه بعض مجلات ملاحية وكتالوجات بواخر..

لقد فهم الثعلب وكشف تلك المصيدة المتعمدة وضعها فى متناول يده.. خصوصا أن فترة غياب «أوليفيا» بالداخل قد طالت إن الثعلب الآن وهو فى فترة الانتظار هذه.. لمتصور الوضع الذى عليه ذلك المدير وتلك السكرتيرة بالداخل فهما حتما يركزان عليه من خلال شاشة المونيتور الموجود على مكتب المدير.. هما فى انتظار أن يقع الثعلب فى المصيدة ويمسك بالملف السرى ليطلع على ما به.. وبذلك يكشف وجهه الآخر..

وهنا يمكنك أيها القارئ العزيز أن تسأل سؤالا.. لماذا يشك ذلك المدير وتلك السكرتيرة فى الثعلب.. فوضعا له تلك المصيدة؟

والرد.. هو أن الشك ليس فى الثعلب.. أو فى ذلك المدير المصرى المدعو «شوكت فهمى» بالذت.. فالشك عند من يعملون فى الأعمال السرية هو صمام أمن العمل السرى.. فهم يشكون فى كل إنسان إلا أن تثبت براءته.. إن الثعلب لو غلبته طبيعته الحقيقة كرجل مخابرات غير واع.. لكان قد انتهز الفرصة وأمسك بالملف وأطلع عليه.. ولكنه ذو خبرة ووعى.. وفهم أن ذلك شرك له.. فلم يهتم به.. فأى إنسان لا دخل له بالعمل السرى لن يلفت نظره ملف مكتوب عليه سرى بل يلفت نظره مجلة ملاحية.. أو كتالوج بواخر من الموضوعة أمامه.. وهذا هو التصرف الذى تصرفه الثعلب .. فقد أمسك بمجلة ملاحية وأخذ يتصفح فيها..

بعد لحظات خرجت «أوليفيا» من المكتب .. ويبدو أن تصرف الثعلب أعطى لهم شيئا من الاطمئنان.. فبأدب وبابتسامة أشارت له بالدخول.

ودخل الثعلب مكتبا فخما فسيحا.. حيث قام مستر «توماس» بكل ود وتقدم من الثعلب وصافحه مرحبا.. وأشار على مقعد أمام المكتب.. وجلس «توماس» على مكتبه.. وكما توقع الثعلب.. كان ذلك المونيتور موجودا على المكتب.. ولكن شاشته كانت فى اتجاه «توماس» المدير أما خلفية المونتيور فهى فى اتجاه الثعلب.. بحيث لا يرى ما هو موجود على الشاشة.

بدأ المدير الحديث بما يقال عادة فى أول اللقاء ولكن الملاحظ أن عينه كنت على شاشة المونيتور.. تراقب ذلك الرجل الواضح أنه رجل الأمن وهو يسلم حقيبة سفر الثعلب التى وضعت فى حقيبة السيارة عند وصوله

إلى المطار.. و«أوليفيا» تقوم بتفتيشها وعندما انتهت منها.. نظرت من مكتبها فى اتجاه الكاميرا التى تصورها وأعطت إشارة الأمان التى وصلت للمدير «توماس» حيث ظهر على وجهه الارتياح.. وكان لحظتها الثعلب يقدم نفسه للمدير ويعرفه بشركة «جبران للملاحة » فى مصر.. وكيف أنه استلم إدارتها من أيام بعد وفاة «عصمت عبد الله» مديرها السابق.. الخ.

ولك يا عـزيزى القـارئ أن تتـخـيل أن اثنين من رجـال المخـابرات متواجهان.. هما عدوان.. أحدهما يعرف ذلك ومتأكدا منه.. والآخر وكما رأينا يحاول أن يكشف من أمامه.. حقا إن «توماس» لم يثبت بعد للثعلب أنه رجل مخابرات.. فكما ذكرنا من قبل أن اسمه الوحيد الذى كان غير مدرج فى كشوف الأرشيف فى المخابرات المصرية.. على أنه من مخابرات أى دولة من الدول المجتمعة.. وأيضا لم يكن له صورة.. ولكن الآن وفى تلك اللحظة أصبح له صورة فقد صوره الثعلب وهو جالس أمامه وذلك عن طريق كاميرا سرية دقيقة مخفية فى الثعلب غير مسموح بنشر شيء عن شكل تلك الكاميرا أو مكان إخفائها أو كيفية عملها وقد علمت أنها صناعة محلية اخترعها أحد المهندسين فى المخابرات العامة المصرية.

أما «توماس».. فواضح أن نتيجة اختباراته التى أجريت على الذى أمامه المدعو «شوكت فهمى» حتى الآن سلبية.. ولكن كان هناك سؤال فوجئ به الثعلب.. وهو نفس السؤال الذى سألته «أوليفيا».. ما هو العمل السابق.

وبنفس طريقـة الرد العـادية التى رد بهـا على «أوليـفـيـا» رد بهـا على «توماس» .. كنت أعمل منذ أيام فقط بهيئة ميناء الإسكندرية البحرى.. وقبل ذلك ضابطا بالقوات البحرية المصرية.

وفورا وبكل الاهتمام كان السؤال الثانى من «توماس» إذا كان هذا العمل من الأعمال المدنية أو العسكرية.. ويبتسم الثعلب وببساطة يجيب أنه عمل مدنى.. ولكن لا يعمل به إلا من أصله عسكرى.

وتحدث الثعلب مع «توماس» بود وكأنه يقص عليه تاريخ حياته بطريقة طبيعية.. حيث ذكر له أنه دفعة المدير السابق المرحوم «عصمت عبد الله».. حيث تخرجا سويا من الكلية البحرية وعملا سويا لفترة ثم افترقا.. وكل سار فى طريقه إلا أن علاقته لم تنقطع معه ومع أسرته.. إلى أن احتاجت الشركة لمن يديرها بعد وفاة المرحوم «عصمت».. وعرض عليه العمل.. فاستقال عن عمله بهيئة ميناء الإسكندرية البحرى.. واستلم إدارة الشركة من أيام فقط.. ثم جنح الثعلب دون أن يتوقف من الحديث عن نفسه إلى الحديث عن الشركة وأعمالها فى مصر.. وعملياتها فى الخارج متعاونة مع بعض الشركات الأجنبية.. وقام بتعريف «توماس» بها وبوضعها.. وسلمه بعض صور لمستندات الشركة.. حيث أنهى حديثه بعرض إقامة تعاون بين شركته وشركه تاور فى مجالات الملاحة والخدمات البحرية.

لقد استطاع الثعلب أن يبعد عن تفكير «توماس» أى شك وذلك لطبيعته وطلاقته فى الحديث وصدقه.. خصوصا موضوع تصريحه بعمله السابق وأنه كان ضابطا أصلا..

كان غرض الثعلب من هذه المعلومات.. هو وضع الطعم الذى يغرى ذلك الرجل.. حقا إن هذه المعلومات هى عبارة عن سلاح ذى حدين.. الحد الأول هو طعم مغرٍ لرجل مخابرات.. فالثعلب بوضعه السابق كضابط بالقوات البحرية المصرية يعتبر حاملا للمعلومات.. وعلى الطرف الآخر الاستفادة بما يحمل .. فيؤدى ذلك إلى وضع الثعلب تحت

الاختبار استعدادا لتجنيده.. ليصبح عميلا لهم.. أما السلاح الآخر فوضع الثعلب كضابط سابق.. ممكن أن يخيف الطرف الثانى.. فمن المحتمل أن يرفض التجنيد .. أو على الأقل يجارى ثم يبلغ ولكن اختيار السلاحين متوقف على نتيجة الاختبارات السرية التى ستجرى على الثعلب. وهذا ما أراده الأخير.. وعرض نفسه له ففى ذلك اختصار للطريق..

فى نهاية اللقاء.. طلب «توماس» من الثعلب فرصة لدراسة الموضوع وعرضه على مجلس الإدارة.. وذلك سيتطلب وقتا .. وأيضا عدة لقاءات أخرى وكان رد الثعلب أنه لديه عمل هنا وزيارات لبعض الشركات الملاحية التى يتعامل معها من أجل التعرف والعمل، وأبلغ «توماس» باسم الأوتيل المحجوز له جناحا به.. وتصافحا على لقاء آخر سيحدد من قبل «توماس».

قامت «أوليفيا» بمصاحبة الثعلب حتى سيارة الشركة.. حيث طلبت من السائق أن يقوم بتوصيله إلى الأوتيل.. وعرضت عليه أن يتصل بها إذا أحتاج لمساعدتها.. وشكرها الثعلب.. وانطلقت به السيارة.

وفى الجناح الخاص بالثعلب فى ذلك الفندق.. حيث صرف الثعلب عامل الحقائب.. وأغلق الباب.. وكعادته قام بجولة تفتيشية فى كل المكان.. ثم أمسك بالحقيبة ووضعها على الفراش وقام بفتحها بحرص.. فعرف أنها فتحت وذلك عن طريق شرك خداعى غير مرئى تقريبا.. كان الثعلب قد نصبه داخل حقيبته ليتأكد من قيامهم بفتحها.. والعجيب أنه عندما تأكد من فتحها سعد لذلك فقد اطمأن إلى الأمور تسير على حسب ما يهوى.. وذلك بتفتشيهم له.

في نفس ذلك الوقت.. كان «توماس» يملي على السكرتيرة «أوليفيا» رسالة طلب منها أن تشفرها وترسلها إلى المركز الرئيسي للموساد بتل أبيب عن طريق اللاسلكي.. مطلوب في تلك الرسالة معلومات عن شركة «جبران للملاحة»..

وأيضا معلومات عمن يدعى «شوكت فهمي».. ضابط سابق وأيضا طلب الاتصال بالشركات التي ذكر الثعلب أنها تتعاون مع شركته في تلك البلد والتأكد من صحة ما ذكر عن مديرها السابق.. وأي معلومات عن المدعو «شوكت فهمي».

أخذ الثعلب آخر رشفة من فنجان القهوة الذي كان يحتسيه في الكوفي شوب الفندق.. ونظر إلى ساعته ونهض.. حيث سار في اتجاه باب الفندق مارا بتلك المحلات.. ووقف أمام واجهة محل زجاجية.. فانعكست صورة للكوفي شوب.. حيث شاهد الثعلب شابا ينهض.. ويدفع حساب مشروبه على عجل.. فابتسم الثعلب.. واستأنف سيره إلى الباب.. حيث توقف قليلا فتوقف الشاب المتابع له هو ثم خرج الثعلب.. فخرج خلفه الشاب.

الثعلب يتجول من شارع لآخر.. وفي منطقة مزدحمة نوعا يتوقف الثعلب وبحركة من يده لاحظها الشاب المتابع له فيتقدم منه وصافحه الثعلب وهو يقول له : أنا نسيت نمرة البيت.. ويبتسم الشاب وهو يصافحه قائلا: أنا رايح لخالتي تحب أقولها حاجة.. هنا يخرج الثعلب من جيبه علبة ثقاب ويشعل سيجارة منها ثم يشعل للشاب سيجارته ويترك في يده علبة الثقاب وهو يقول له .. خد إديها ده . وينصرف الثعلب مبتعدا عن الشاب الذي أخذ اتجاها آخر معاكسا لاتجاه الثعلب.



وهناك فى ذلك المكان الذى يطلق عليـه « المنزل الأمين» وهو مكان سرى للمخابرات المصرية فى تلك الدولة .. نرى الضابط رئيس المكتب يفتح علبة الثقاب ليخرج منها الفيلم الصغير الذى به صورة «توماس» والتى التقطها له الثعلب وكذا ورقة صغيرة بها رسالة من الثعلب .. يطلب فيها إفادته بمعلومات عن «توماس باول» .

ويأمر رئيس المكتب أحد معاونيه ويسلمها لمسئول حدده له بالمخابرات العامة.. وينتظر النتيجة ويعود بها مرة أخرى على أول طائرة ولم يستغرق ذلك أكثر من اثنتى عشرة ساعة .

سنعود إلى لحظة مغادرة الثعلب لمكتب توماس باول .. وذلك حتى لا يسقط منا ما حدث فى هذه الجهة بعد مغادرة الثعلب للمكان حيث قامت «أوليفيا» بتوديعه ودخلت مكتب توماس .. وأبلغته بنتائج الثعلب للمكان حيث قامت «أوليفيا» بتوديعه ودخلت مكتب توماس .. وأبلغته بنتائج تفتيش حقيبة الثعلب .. فلم يكن بها ما يدعو للشك .. فطلب منها مستر «توماس» القيام بالتحرى عنه فى محيط شركات الملاحة الموجودة فى تلك الدولة والتى تتعامل مع شركة «جبران للملاحة» وذلك للتأكد من صحة ما ذكره الثعلب من معلومات .. وكذا طلب منها وضع الثعلب تحت المراقبة .

وفى صباح اليوم التالى قام الثعلب بزيارة إحدى شركات الملاحة التى تتعامل معها شركته .. وانهى عمله بها .. وتناول طعام الغداء مع مديرها

فى أحد المحلات .. ثم توجه إلى جناحه بالفندق الذى يقيم به .. واستراح قليلا وغير من ملابسه وغادر الفندق .. وصار يتجول بالشوارع المحيطة مترجلا ..

ومن أحد تليفونات الطريق . اتصل الثعلب بزميله بالمكتب بتلك الدولة وكان رجل المخابرات الذى قام بالمهمة قد عاد من القاهرة ومعه ما يريده الثعلب من معلومات .. وتم الاتفاق على اللقاء بعد ساعة فى مكان حدده الاثنان .

وصل الثعلب قبل الساعة بقليل لقرب مكان اللقاء .. وقام بعده حركات لكشف المراقبة .. فاكتشف إنه مراقب .. ويقول الثعلب إنه لحظتها شعر بالسعادة فمعنى مراقبته أنه حظى باهتمام الجهة الأخرى .. ولكنه كان محتاجا لتلك المعلومات .. فقرر إن يحصل عليها من زميله تحت سمع وبصر من يراقبه ..

وعندما ظهر زميل الثعلب فى مكان اللقاء .. كان هو الآخر قد اكتشف أن الثعلب مراقب .. ولكن عن طريق إشارات معينة وهى لغة يتحدث بها رجال المخابرات .. ولا يعرفها إلا هم .. تم الاتفاق ..

استمر الثعلب فى سيره إلى أن وصل إلى مكتبه ودخلها . وتوجه إلى حامل الصور وصار يستعرضه.. وكان زميله قد دخل خلفه.. حيث وقف فى الناحة الأخرى من الحامل وضع مظروفاً خلسة بين الصور .. ولف الحامل فأصبح المظروف أمام الثعلب .. حيث أخذه بهدوء.. وينصرف الزميل .. ويتوجه الثعلب إلى الخزينة حيث دفع ثمن الصور التى انتقاها .. حدث ذلك دون أن يرى مراقبوه شيئاً .

خرج الثعلب من المكتبة .. حيث كان تواقا لمعرفة المعلومات التى

أُرسلت إليه من القاهرة .. فهى دليله فى خطواته القادمة . هو لا يستطيع أن يفتح الرسالة ويقرأ ما بها بالطريق فالمراقبة خلفه .. فكر فى الاختفاء من مراقبيه ليقرأ الرسالة .. ولكنه تراجع . فلو فعل ذلك فإنه سيضع الشك حول نفسه .. وستعرف الجهة الأخرى وأنه مدرب .. فوجد أنه من الأصلح .. أن يشير إلى سيارة أجرة ويستقلها .. ويقرأ الرسالة بداخلها ..

والحقيقة وأنا استمع لذلك من الثعلب تعجبت . لماذا كل هذه الحيرة فلينتظر إلى حين عودته إلى الفندق ليقرأ الرسالة فى حجرته بآمان .. وابتسم الثعلب .. وقال .. إنه كان يعلم أنه من المحتمل .. أو أنه أكيد .. أن تكون غرفته فى الفندق قد ركبت بها الأجهزة التى تنقل الصوت والصورة .. وإن أسلم حل هو السيارة الأجرة التى استقلها وقرأ بها الرسالة حيث علم منها أن «توماس باول» هذا يعتبر من قادة الموساد .. وهو من يهود المغرب ويدعى «حاييم كaroول» .. أصلا كان عميلا للمخابرات البريطانية قبل نزوحه إلى الأرض المحتلة ..

ويصل الثعلب إلى الفندق .. ويصرف السائق .. وقبل أن يهم بالدخول كان أحد الرجال يعترض طريقه ممسكاً بورقه وبأدب يسأله أن يدله على ذلك العنوان . وينظر الثعلب إلى الورقة ويعتذر للرجل فهو غريب عن البلد.. ويلاحظ الثعلب أن الرجل يحاول أن يطيل الحديث معه فابتسم بداخله .. فهو يعرف معنى ما يحدث له الآن .. ولم يتوجه الثعلب إلى حجرته قاصدا .. حيث توجه إلى المطعم لتناول عشاءه ..

ويصعد الثعلب إلى جناحه بعد انتهائه من تناول عشائه .. وبنظرة فاحصة شعر إن هناك من دخل جناحه فى غيابه .. فتأكد أنه موضوع تحت الاستماع والمشاهدة طوال فترة تواجده فى الجناح .. وفى أى ركن

منه .. وسعد الثعلب أيضاً لذلك .. ولكن فى نفس الوقت وكإنسان أصابه بعض الضيق ..

هل تعلم يا صاحبى مدى ما تشعر به وأنت فى مكان بمفردك .. المفروض أن تكون فيه على راحتك وبحريتك .. ولكنك تعلم أن هناك عيونا مبحلقة فيك طوال الوقت ترصد كل حركة منك .. هل تعلم مدى الحساسية التى يجب أن تكون عليها حتى لا يلاحظ مراقبوك أنك تشعر بهم .. فإذا قيد الثعلب نفسه تماما .. فإنه من الممكن أن يشك فى أمر كشفه لهم .. لأن .. من منا لم يقم ببعض الحركات الغريبة وهو منفردا بنفسه فى مكان مغلق عليه .. كان على الثعلب أن يتصرف بتلقائية .. فاستطاع أن يقنع مراقبيه إنه ليس فى باله إطلاقا أن يكون مراقبا .. فأتى ببعض المظاهر التى تدل على ذلك وكان يضحك منها مراقبوه من خلف المونيترات التى عليها صورته فى جميع الأوضاع .. وأخيرا أسلم الثعلب جفنيه للنوم .. ولكنه كان نوم الثعالب .

وفى اليوم التالى .. كانت المعلومات التى طلبها توماس والتى تؤكد ما ذكره الثعلب قد بدأت تصل تباعا .. فهو فعلا خليفة لعصمت بعد الله .. الذى كان هو الآخر ضابطا ومن نفس دفعة شوكت فهمى ..

وفى القاهرة .. كان منزل الثعلب .. وطبعا لم يكن منزله الحقيقى .. بل كان منزلا آخر .. ولكن رتبت كل الأمور فيه وحوله بحيث لو تساءل أى غريب سيعرف إنه منزل شوكت فهمى .. وأيضاً روقب مقر شركة جبران للملاحة .. بصفة مستعرة من أفراد المخابرات المصرية .. فما هو منتظر حدوثه كان متوقعا .. ومخططا له .. وإن الموساد لابد وأن تحصل على أحدث المعلومات عن شوكت فهمى .. وبناء عليه كان توقع قيام أحد عملاء إسرائيل فى البلاد بعمل تحريات سرية فنشرت المعلومات

المطلوب وصولها للموساد .. وكانت المراقبة فى انتظار من سيأتى لجمع تلك المعلومات .. عسى أن تتعرف على عميل جديد من عملاء الموساد .. وكما يقولون زيادة الخير خيرين .

وفعلا حضر من سأل عن الثعلب .. وأخذ ما يبغيه من معلومات فى أمان تام .. وعاد إلى مقره سالما كما حضر .. وفقط بزيادة أفراد مراقبة من المخابرات المصرية .. كانوا فى ركابه مند انصرافه من مقر شركة جبران للملاحة إلى أن وصل إلى سكنه وهو لا يعلم إنه وقع فى المصيدة .. وبذلك تكون المخابرات المصرية قد تعرفت على أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية الموساد الغير معروفين لها .

وتباعا كانت تصل المعلومات .. فمن جهاز الإرسال الخاص بالعميل فى القاهرة .. إلى أجهزة الموساد بتل أبيب .. ومنها إلى جهاز الاستقبال السرى بغرفة العمليات السرية بمقر شركة تاور للملاحة العالمية . كانت تلك الرسالة المحلول شفرتها والتى استلمتها ««أوليفيا»» .

دخلت ««أوليفيا»» على «توماس» مكتبه وبيدها الرسالة المشفرة وهى رد الموساد بمعلومات عن المدعو / «شوكت فهمى» . وكان بها ما يفيد أن المدعو «شوكت فهمى» .. كان ضابطا بالقوات البحرية . ثم عمل فى هيئة ميناء الإسكندرية وإنه قدم استقالته منذ أيام قليلة وأسلتم العمل كرئيس مجلس إدارة شركة جبران للملاحة وإنه حاليا فى جولة عمل بالخارج ..

كانت قد مضت أيام أربعة على لقاء الثعلب بـ«توماس» .. أمضاها الثعلب فى زيارة بعض الشركات .. وذلك كما ذكرت تقارير المراقبة والتى وردت بها ملحوظة . وهى أن الثعلب تعود إن يقضى نهار يومه فى زيارة

الشركات التى يريد زيارتها .. أما فى المساء . فهو يتناول طعام عشائه فى مطعم الفندق الفخم .. ثم يصعد إلى حجره حوالى الحادية عشر لينام وإنه لم يلتق بأى شخص غير لقاءاته فى الشركات التى يزورها ..

واطمأن «توماس» أو «حاييم كارورل» كما سنسميه من الآن ..

وفكر فى تجنيد «شوكت فهمى» لصالحهم .. فأرسل لرئاسته فى تل أبيب والتى وافقت من حيث المبدأ على أن يوافيها بمدى صلاحيته لذلك.

وبدأ «حاييم» يخطط مع «أوليفيا» من أجل البدء فى تجنيد «شوكت فهمى» . ومع ذلك فإن جد إنه من الأجدى أن يكون فى جانب الحرص ويتقدم بخطوات فيها كل الحذر . وعليه أن يحصل على معلومات أكثر هذ المرة تكون معلومات شخصية يجب أن يتعرف على «شوكت فهمى» هذا كرجل .. استعدادا لمحاولة اكتشاف نقطة ضعف فيه ينفذ منها إلى السيطرة عليه ليجبره على الموافقة على التعامل معهم .. وهذه المعلومات لن تأتى إلا باتصال شخصى مباشر بـ«شوكت فهمى» ..

وهنا تضحك «أوليفيا» بدلال .. «أنا أقدر اعمل ده» ويبتسم «حاييم» بخبث وهو ينظر إليها من أسفل نظارته متسائلا «الراجل عجبك والا إيه» وإلى هنا ويكتفى الاثنان بذلك القول .. لقد فهم كل منهما ما يريده الآخر .

لابد هنا من وقفة قبل الانطلاقة التالية .. وهذه الوقفة بغرض إعادة تقييم الموقف .. فقد أصبح الموقف الآن .. هو أن الثعلب قد قدم نفسه كطعم ليغرى «حاييم» على تجنيده .. فكلف الأخير مساعدته «أوليفيا» باصطياده وإيقاعه فى حبائلها وإنشاء علاقة معه لتجنيده لصالحهم .

وفى نفس الوقت كان الثعلب يريد أن يخترق ثغره فيهم ليتغلغل منها إلى داخلهم .. ولذلك كان لابد له من عملية تجنيد إحدهما .. «حاييم» أو «أوليفيا» .. فاختار «أوليفيا» .

أصبح الآن لزاما على الثعلب أن يقدم على أول الخطوات وهى التقرب من «أوليفيا» لدراستها .. لكن مع هذه النوعية التى تقوم فعلا بالعمل السرى .. لا بد وأن نكون على حذر شديد .. فهى من أول لحظة ستكشف عملية الاقتراب هذه .. أو على الأقل ستشك فيها .. وستكون مستيقظة لها ..

ولكن إذا قلبنا الموضوع .. وجعلنا «أوليفيا» هى التى تحاول أن تقترب من الثعلب .. وتحاول مصادقته من أجل دراسته للوصول إلى نقطة ضعف تستغلها فى السيطرة عليه وتجنيده لصالحها أليس ذلك آمن للثعلب ؟ .

مما سبق نفهم أن الثعلب لم يكن يعرض نفسه لهم ليجندوه بل خدعهم بذلك ليحاولوا هم تجنيده .. وعندما يصل إلى ما يريد وهى نقطة الضعف التى من الممكن أن يسيطر بها على «أوليفيا» أو «حاييم» أو أى إنسان هنا ينقلب هاجما على هدفه مهددا إياه بما مسكه عليه فتتم عملية التجنيد بنجاح ..

أرأيت معى يا قارئى أن عمليات المخابرات ما هى إلا حرب .. ولكنها حرب بلا أسلحة تقليدية .. ولا فوق التقليدية .. ولا كيميائية ولا بيولوچية إنها حرب سلاحها العقول .. فهى حرب الدهاء .

بقى الآن أن تبدأ بتلك المعركة .. معركة المكر والذكاء بين الطرفين .. إن الثعلب قد وضع نفسه بنجاح كطعم لهم .. الدور الآن على الطرف الآخر .. عليه أن يتحرك .. بعد أن التقط الطعم . وكان الثعلب مستعدا وفى الانتظار بفارغ الصبر ..



وحتى نتابع تلك الحرب .. حرب الدهاء التى ستبدأ بين الطرفين .. الثعلب من طرف .. والموساد من الطرف الثانى .. ممثلة فى «أوليفيا» .. والتى قرر الثعلب أن يجندها فإنه يجب أولا التعرف على الطرفين .. إن الثعلب معروف لنا تماما .. أما «أوليفيا» .. فهى خصم صعب متمرس على دخول مثل هذه المعارك .. حيث حباها الله بذلك السلاح الفتاك.. ألا وهو الجمال .. بجانب الذكاء الذى يفوق جمالها المبهر .. إنها أنثى بمعنى الكلمة .. هى فى عمر يقال عنه فى مجال المرأة إنه عمر النضوج الكامل .. فقد تعدت الثلاثين من العمر .. جسم متناسق جدا .. مع طول مناسب محبب فى المرأة .. فيها شموخ من تعتز بنفسها .. وعلى ذلك الجسم والقوم المحسوب بمقاييس الجمال كانت تلك الرأس الصغيرة المتوجة بذلك التاج الحريرى الأسود بسواد الليل الحالك حيث يتمشى مع لون بشرتها البيضاء الممتزجة بوردية حلوة وعيون متسعة عسلية ساهمه فم صغير مكتز الشفتين باحمرار لون الوجنتين تبتسم فتكشف عن بياض ناصع كبياض ثلج أوروبا فى شتائها المنعش .. تلك كانت «أوليفيا» .

ومن المعروف إن لكل إنسان نقطة ضعف .. وإحدى نقاط الضعف المعروفة فى الإنسان هى المغريات وملذاتها ومن أقوى المغريات التى توقع بالرجل تحت السيطرة .. هى النساء .

ومن المعروف أيضاً إن أعمال المخابرات فى العالم أجمع تدخل تحت بند الـ Dartey Work وخصوصا أعمال الموساد .. لذا فالوصول إلى

المطلوب مطلوب حتى ولو بأقذر الطرق .. فليستخدم الجنس للحصول على معلومات وليستخدم القتل لكف تدفق المعلومات وليستخدم المخدر لتغييب شباب البلاد عن الكفاح .. وبأى طريق تصل مخابرات الدول لأغراضها .. ومع ذلك فهذا ليس بقانون .. بل إن التجسس ممنوع فى القانون الدولى ولكنه موجود كعرف ومعترف به . فكل الدول تتجسس على كل الدول .. ولكن إذا وقع الجاسوس فهو غير تابع فى هذه الحالة لأى من الدول نظام غريب عالمه أغرب .. وسائله شديدة الغرابة .. ولكن فى النهاية نتائجه مفيدة .

حقا كان شوكت فهمى بالنسبة لـ«أوليفيا» ما هو إلا عمل .. ولكن يفرق كثيرا أن تقوم بعمل وأنت مستريح له ومعجب به .. وبين عمل تكلف به لتنفذه فقط .. والعمل هذه المرة بالنسبة لـ«أوليفيا» ما هو إلا شوكت فهمى .. ولقد ذكرنا من قبل أن ««أوليفيا»» عندما شاهدت الثعلب لأول مرة أعجبت به كرجل .

وكان على «أوليفيا» أولا أن تتعرف على شوكت فهمى كرجل .. أهو كمعظم الرجال يهوى النساء .. ويغربه الجمال .. ويثيره الدلال اسيكون رجلا سهل المنال .. أم رجلا صعبا .. اختراقه من المحال اسيحتاج لمجهود خاص للوصول إليه .. أهو من الرجال الذين لا يحبون السهل من النساء.. ويهوى صعوبتهن . ويتلذذ بتكرار محاولاته للإيقاع بالمرأة .. أم إنه من النوع غير الصبور ويحب الإسراع فى الوصول إلى ما يبغيه من المرأة .. كل هذه أسئلة كان على «أوليفيا» أن تجد إجابة عليها قبل أن تتعمق فى حربها .. أو نقول فى علاقتها مع الثعلب ..

ترى كيف بدأت الحرب بينهما .. إنه من المعروف أن أى حرب تبدأ

لها بعض المناوشات التى تمهد لها .. وكانت بداية المناوشات فى ذلك اليوم الذى أنهى فيه الثعلب عشاءه بمطعم الفندق .. وذهب إلى المصعد ليصعد إلى جناحه وقبيل أن تغلق أبواب المصعد شاهد الثعلب سيدة تسرع لتلحق به .. وكانت أبواب المصعد قد تحركت فعلا للغلق .. ولكن الثعلب تمكن من الباب حتى تدخل السيدة .. حيث يفاجأ بأنها «أوليفيا» التى فوجئت هى الأخرى به .. ولكنها شكرته وهى تلهث .. أثناء ضغطها على زر نفس الدور الذى يقيم به الثعلب .

انتظرت «أوليفيا» من الثعلب أن يتحدث معها أثناء صعود المصعد .. ولكنه لم يفعل بل وقف صامتا ينظر لتابلوه الأدوار وتتابعها .. وتعجبت «أوليفيا» فى نفسها .. كان وكأنه لا يعرفها .. وبدهشة بدأت هى :

ـ مستر «شوكت فهمى» ؟ .

نظر لها «شوكت» وبإيمائه من رأسه بمعنى الإيجاب .

ـ أيوه ..

ـ حضرتك مش عارفنى ؟ .

ـ طبعا عارفك ..

ودهشت «أوليفيا» من إجابة «شوكت» .. واعتقد من ذلك الرد يتضح مدى ذكاء الثعلب .. فجمال «أوليفيا» لا ينسى .. فإذا نفى معرفته بها . فإن ذلك كان سيؤدى إلى بعض الشك فى داخل الطرف الآخر أما بالنسبة لخبرة التعامل مع النساء .. فقد كان ذلك التصرف من الثعلب هو تصرف الرجل الخبير بالمرأة .. فالمرأة تزداد تعلقا بمن لا يلقى بنفسه عليها أو يهتم بها .. خصوصا عندما تكون فى جمال «أوليفيا» ..

واعتقد أن هذا ما حدث فى داخل نفس ««أوليفيا»» فعلا .. لقد

اهتزت من أعماقها كأنثى ولكنها تمالكت نفسها وأخفت ما بداخلها كإحدى العاملات بالمخابرات .. وبطبيعية شديدة وتلقائية مقنعة أبدت تعجبها من تصرف الثعلب فبادرته ..

ـ اعتقدت من طريقتك إنك نسيتنى ..

ويبتسم الثعلب ابتسامة حلوة فيها أدب ودماثة خلق الرجل الشرقى ..

مش معقول أنسى سيدة مثلك .. كل ما فى الأمر .. إنى محبتش أضايقك وأفرض نفسى عليكى .

كان المصعد قد توقف .. ويفتح الباب ويخرجان وتبتسم له «أوليفيا» بابتسامة حلوة وهى تقول :

ـ اعتقد دى أخلاق الرجل الشرقى .. بس أحب أعرف تقصد إيه بإنك مش معقول تنسى سيدة مثلى ؟ .

إذا ماكانش ده يضايقك فأنا أقصد سيدة بمثل جمالك ..

وهنا يظهر على وجه «أوليفيا» رد فعل ذلك القول .. وهما سائران فى ممر الحجرات .. ويخجل وكأنها تخرج عن مجال الحديث .

ـ يا ترى أنت ساكن هنا .. يكون قد وصل إلى حجرته فيتوقف ..

ـ أيوه .. أوضة ٧٤٥ ..

وتكون هى الأخرى قد توقفت أما الحجرة المجاورة حيث تخرج مفتاحها من الحقيبة ..

ـ وأنا هنا فى ٧٤٧ أنا غيرت الفندق بتاعى النهاردة الشركة حجزتلى سويت هنا بمناسبة ترقيتى لمنصب نائبه مدير الشركة ..

ويكون الثعلب قد فتح حجرته ..

ـ يبقى تهنئتى بالترقية ..

«أوليفيا» وهى تدخل حجرتها ..

ـ مرسيه ..

ويدخل الثعلب حجرته .. حقا كان لحظتها سعيدا .. لأن خطته تسير على ما يرام .. وها هى مظاهر نجاحها قد ظهرت متمثلة فى عدة مظاهر.. المراقبة التى فرضت عليه .. وتفتيش حجرته مع وضع أجهزة الاستماع والتصوير بها .. وأخيرا تلك السيدة رائعة الجمال التى من الواضح إنها مدفوعة عليه ..

خلع الثعلب ملابسه وارتدى ملابس النوم وكان يتصرف بتلقائية وحرية الإنسان عندما يكون منفردا بنفسه . وكانت الليلة من ليالى الصيف الحارة نوعا وكان الثعلب يكره أجهزة التكييف .. فأخذ كتاب وخرج إلى الشرفة وجلس على مقعد مريح .. واندمج فى القراءة ..

حقا كان الثعلب غير مندمج كلية مع الكتاب .. كان متيقظا أيضاً لتلك الحركات التى كانت تحدث من شرفة الحجرة المجاورة لحجرته .. والتى لا يفصلهما سوى ذلك السور الخشبى المتسلق عليه النباتات .. وكان الثعلب يرى أو يحس ما يحدث دون أن يرفع رأسه عن كتابه ... وتتابع الصفحات .. وتتزايد أصوات الحركة للفت الأنظار إلى أن وصلت إلى حد إنه سيكون من غير الطبيعى أن يتجاهلها .. فهو صوت صينية وقعت على الأرض .. هنا رفع الثعلب نظره من الكتاب ونظر باهتمام تجاه الشرفة الأخرى فوقع نظره عليها .. على «أوليفيا» ..

كانت قد تخلصت من ذلك المكياج الذى كان على وجهها .. وأطلقت لشعرها الطويل العنان من تلك الربطة التى كانت تقيده من الخلف على شكل ديل حصان .. وأصبح الآن مسدلاً على وجنتيها

وكتفيها فازدادت جمالا على جمال .. بل اكتسب وجهها مظهر البراءة الحلو ولكن أنوثتها الطاغية ظهرت أكثر وأكثر فى رداء نوم .. كان شفافا بلون جسدها الوردى الظاهر من تحته ..

ويبدوا وإن ذلك الصوت كان مزعجا .. وهو صوت وقوع صينية على الأرض جعلها فى وضع لابد وأن تقف وتواجه فيه الثعلب باعتذارها لإزعاجه بهذا الصوت .

نظر لها الثعلب نظرة سريعة مركزة .. ثم ثبت نظره بعد ذلك على عينيها فشعرت هى بالرغم عنها بشىء ما أخافها من ذلك الرجل .. لقد اعترفت لحاييم وهى تقص عليه ما حدث .. إنها تاهت أمامه للحظة .. وأفاقت فسمعته برقة يرد لها اعتذارها بشياكة الجنتلمان الذى لا يحرج امرأة .. وكاد الثعلب يعود إلى كتابه فأسرعت «أوليفيا» وكأنها كانت تخشى أن يهرب منها باندماجه مرة أخرى فى القراءة حيث طلبت منه أن يشعل لها سيجارتها ..

وأمسك الثعلب بولاعته واقترب من ذلك الحاجز الخشبى البسيط .. واقتربت هى والسيجارة فى فمها .. وأشعل الولاعة . وأقتربت برأسها من النار لتشعل سيجارتها .. فأشعلت أحاسيس الثعلب بعد أن تعمدت أن يلمس وجهه شعرها .. وبلا إرداة .. وجد نفسه يستشنق عطرها المثير الممتزجة بعبير أنوثتها الطاغية ذلك مع إحساسه بلمسة شعرها الحرير لوجهه .

عاد الثعلب إلى رشده فشعر بسخونة فى يده .. وفطن إلى أنها مازالت تمسك بيده التى كانت بها الولاعة .. ومازالت ممسكة بها حتى بعد أن أشعلت سيجارتها .. وعندما سحب يده منها ألهبت مشاعره بتلك النظرة

التى سلطتها عليه من عيونها الساحرة الشاردة التى كان بها كل الدعوة . تلك الدعوة التى لم يستجب لها الثعلب فحل محل تلك النظرة نظرة كلها عتاب .. على أثرها استأذن الثعلب منها وألقى عليها بتحية المساء ودخل إلى حجرته .

كان ذلك أول احتكاك بينها وبين الثعلب.. وجلست «أوليفيا» مفكرة.. فهى الخبيرة بالرجال .. من أى نوع هو .. أهو خجول .. لا وإلا لما كانت تلك النظرة الخارقة الجرئية .. ولا كان ذلك الثناء على جمالها بلسانه .. عندما قال لها إنها إنسانة جمالها لا ينسى .. أهو يفتعل عدم المبالاة بها .. لا أيضا فنظراته التى تجاوبت مع شرود نظراتها تؤكد إحساسه بأنوثتها .. إذا فهو من النوع الذى يخشى على كرامته .. فهو يخشى أن يرفض .. فلا يقدم هو على الخطوة الأولى .. لذا فعليها هى أن تقدم على تلك الخطوة .. وعندما وصلت بتفكيرها إلى هذا .. استراحت .

فى اليوم التالى .. كان يوما هاما بالنسبة للثعلب .. فهو سيلتقى فيه بذلك العميل الأجنبى الذى يأتى منتدبا للعمل الإدارى والتجهيز لتلك الاجتماعات التى تعقد فى ذلك المبنى .. وكان الثعلب يريد أن يستزيد منه بمعلومات أكثر عن «أوليفيا» تلك .. وهنا يعن لى أن أوضح للقارئ إن ذلك العميل هو أحد رجال المخابرات بتلك الدولة التى بها ذلك المبنى.. وعمله إدارى .. ومكان عمله الأساسى إحدى الهيئات الدولية فى دولة مجاورة لدولته ..

وقبيل الموعد المحدد للقاء ذلك العميل وسنطلق عليه من الآن مستر «إكس» .. كان على الثعلب أن يتخلص من أى مراقبة خلفه قبل أن يلتقى بعميله .. دون إثارة أى شكوك لمراقبيه ..



في ذلك المطعم الزجاجي بذلك الفندق المشيد على مدرجات ذلك الجبل الأخضر المطل على بحر تلك الجزيرة الصغيرة .. كان الثعلب مجتمعا بعميله الأجنبي المستر أكس ..

ويدير الثعلب الحديث في هذا اللقاء بحيث يخرج من عميله بمعلومات أكثر عن «أوليفيا» .. حيث قال عنها مستر أكس أنها ذات شخصية قوية جدا ولها نفوذ .. كما وأنه معروف عنها الشراسة.. عملها الظاهر هو مديرة مكتب «حاييم» رئيس الشركة .. ولكن واضح من نفوذها أنها أكثر مايقال في الاجتماع يصب لديها .. وهي التي تقوم بتجميع محضر الجلسة بكل ما يحويه من معلومات نوقشت من الأعضاء .

وظل الثعلب يلف ويدور بالأسئلة حول «أوليفيا» .. وكان بذلك يحاول أن يستنفذ كل ما لدى العميل من معلومات عنها .. ذكر العميل شيئا كان في رأيه تافها .. ولكن الثعلب اعتبر انه حصل على كنز .. ذكر إكس للثعلب أنه شاهدها تتناول الغداء في مطعم بإحدى الجزر . مع حارس الأمن الزنجي الذي يبيت بالمبنى وذلك في إجازة نهاية الأسبوع الماضي الذي قضاه في ذاك البلد حيث كان العميل إكس هناك مع مجموعة من الاصدقاء ..

ولمعت عيون الثعلب على الفور .. وسأله بتركيز اذا كانت «أوليفيا» قد

شاهدته .. فأجاب إكس بالنفى فاستراح الثعلب وأكمل إكس الحديث حيث قال إن مالفت نظره انه لايوجد اى تقارب بحيث يجعل «أوليفيا» على علاقة بذلك الزنجى الأسود ففارق المستوى الوظيفى والمادى والمعنوى لايسمح بذلك ..

وتذكر إكس أو فطن لحظتها أن «أوليفيا» كانت تجلس مع ذلك الزنجى فى ركن بحيث لاتكون ظاهرة للعيان .. وقد كان الشكل .. شكل علاقة عاطفية وحتى هذه العلاقة فإنها مازالت مرفوضه فى دول أوربا .

ويكتفى الثعلب بما حصل عليه فى ذلك اللقاء مع عميله وينهى المقابلة معه .. ويعود إلى الفندق .. وكان موعد العشاء فتوجه إلى المطعم.. وكان يفكر لحظتها فى «أوليفيا» .. وشكل العلاقة التى تكون بينها وبين الحارس الأسود .. فكر الثعلب أن تكون احدى المأموريات السرية التى تقوم بها «أوليفيا» بالاشتراك مع حارس الأمن وهذا هو المنطق الوحيد لهذا الشكل .. كما فكر فى «أوليفيا» .. فكر فيما ستقدم عليه الليلة .. حاول أن يتنبأ .. فوجد أنه لو مكانها فإنه لابد وأن تعرف أين كان طوال هذه المده السابقة .. فقرر ألا يعطى لها تلك الفرصة .. إنه سيختفى عنها ولن يظهر لها نفسه ..

عرفت من الثعلب أن علاقة فكرية تنشأ .. أو ارتباط فكرى بين طرفى الصراع فى الأعمال السرية .. فمن البديهى أن يفكر كل منهم من وجهة نظر الآخر .. وذلك ليعطى لنفسه توقعا لما هو متوقع من الطرف الثانى .. وحقا ذلك .. فهاهى «أوليفيا» مع «حاييم» فى مكتبه تتحدث معه عن دهشتها لاختفاء الثعلب .. وأنها تريد أن تذهب إلى الفندق لتحاول

لقاءه.. وأيضا أبلغت «حاييم» أنها ستشن أول هجوم لها على الثعلب الليلة .

الثعلب فى المطعم يحتسى من طبق الشوربة أمامه .. وعندما يرفع رأسه يجد «أوليفيا» واقفه تنظر إليه وتلك الابتسامة الحلوة على شفتيها .. ويفاجأ الثعلب وينهض مرحبا بها وكانت مبتسمة بسعادة تنظر حولها وكأنها تبحث عن مكان .. ولكن الثعلب تصرف كجنتلمان .. فدعاها لتناول عشائها معه على مائدته .. وبعد محاوله اعتذار حتى لاتقطع عليه خلوته مع عشائه ألح عليها بالموافقة فجلست «أوليفيا» .. حيث بدأت حديثها بتمنياتها أن يكون مستمعا بأيامه فى تلك البلده ثم ألحقت سؤالها بسؤال عن المناطق التى زارها وأعجب بها ..

وتحدث الثعلب بشئ من العموم .. لأنه وللاسف يتجول فى معالمها كثيرا .. وأدارت «أوليفيا» الحديث بحيث وصلت إلى ماتبغيه وهو سؤالها الذى توقعه أو الذى كان متوقعه الثعلب ..

ـ «أوليفيا» : يعنى مثلا روحت فين النهاردة ..؟

ـ صباحا .. مرور على بعض شركات الملاحة .. ثم غذاء بالفندق .. وراحه قليلا بالحجره .. ثم السير على الأقدام فى الشوارع المحيطه على سبيل التريض وبعدين العوده والعشاء ..

ـ معنى كده أنك ماشوفتش حاجة من معالم البلد المهمة تسمحلى بأه أقوم بدور المرشدة السياحية لك ..

ـ ده يبقى شرف كبير ليه .. أهو بكره أجازة ..

وتبدى «أوليفيا» أسفها وأعتذارها .. فهى مرتبطة .. ويستنتج الثعلب

شـيـئـا .. لما لا تكون مـرتبطة بذلك الحـارس الأسـود فى يوم راحـتـهـا الأسبوعية.. وهنا جاء للثعلب خاطر المشاهده بنفسه .. مشاهده شكل لقاء «أوليفيا» بالحارس الأسود يوم الراحة الأسبوعية وهو الغد .

أما مادار بينه وبين «أوليـفـيـا» أثناء تفكيره هذا فقد كان اتفـاقا على مـوعد لاحق .. بعد أيام .. لتناول الغـداء سويا فى ذلك المطعم المشـهـور بنبيذه الجيد وطعامه المخلوط به .. على سفح ذلك الجبل ..

وفى لحظة صـمـت عن الحديث بينهـمـا .. وصل لهـمـا صـوت تلك المقطوعة الموسيقية الهادئة .. والتى يعزفها فى المطعم ذلك العازف الماهر على البيانو .. كانت مقطوعة رومانسية شهيرة ..

ولاحظ الثعلب مدى التعبيرات الرومانسية التى ظهرت على وجه «أوليفيا» .. فبالرغم منها طفحت عواطفها وخرجت عن سيطرتها وظهرت على تعبير وجهها ..

فى أول الأمر حاولت أن تقاوم ذلك التجاوب .. ولاحظ الثعلب ذلك.. ولكن مع استمرار سماعها لتلك المقطوعة الموسيقية لم تتمكن إلا من الاندماج معها .. فتركت لنفسها العنان .. وكأنها تقول لنفسها ان ذلك جزء من تمثيل الدور الذى تمثله على الثعلب فمن آن لآخر كانت تصيبه بنظره من نظراتها الشاردة الساهمة لتبين له أنه المقصود .. ولكن بالرغم منها كانت تسرح بنفسها بعيدا عنه وحكم عليها الثعلب لحظتها .. بأن هذه الأنثى تعيش حالة حب .. هى تذوب حبا فى شخص ما .. ولكنها تعانى من عدم قدرتها على امتلاكه ..

ويعلم الله وحده .. ولايعلم الثعلب .. لماذا جاء على باله لحظتها ذلك الرجل الزنجى حارس أمن المبنى .. ثم طرأ على فكره .. لماذا تلك المقابلة فى ذلك المكان النائى البعيد عن المدينة .. ولماذا تلك المقابلة أصلا وفارق المستوى لا يسمح بذلك .. ثم لماذا هذه المعاناة الرومانسية التى تعانيها «أوليفيا» وهى التى فى مقدورها بجمالها هذا ان تشير بأصبعها لاى رجل تعجب به .. فيجوب خلفها العالم علنا وهو يتباهى بها ..

اذا ففى علاقة «أوليفيا» بالحارس الأسود شيئا ما .. ويجب أن يعرفه .

انتهت المقطوعة الموسيقية .. وعادت «أوليفيا» من جولتها مع عواطفها.. فوجدت وجه الثعلب مبتسما لها .. فارتبكت أمام نظراته الثابتة عليها .. ثم تماسكت وضحكت .. وبمكر حاولت أن تهاجم قبل أن يهاجمها الثعلب .. حيث نظرت إليه وبدهشة .

ـ ياه قد كده الموسيقى دى بتأثر فيك ..؟

وضحك الثعلب وهو يرد عليها

ـ فيه أنا ....؟!

ـ أيوه .. أنا أخذت بالى منك .. سرحت فيها ..

وبضحكة أخرى متعجبة

ـ أنا ...؟!

ـ أيوه .. أيه هو ده عيب .. خايف تقول أنك بتحب ..

ويرد عليها الثعلب بصوت دافئ وهو يركز فى عينيها

ـ أنا لما ححب .. مش حاأخبى .. أخبى ليه .. طالما اللى حبتها إنسانة تستاهل حبى لها .. بل العكس .. أنا ساعتها حفتخر بحبها .. وممكن أعلنه قدام العالم كله .

لقد شردت «أوليفيا» فيما سمعت وللحظة .. ثم جمعت نفسها وخرج من فمها سؤال يبدو أنها لم تتمكن من إيقافه .. كعادة الأنثى عندما تريد أن تعرف فلا يوقفها عن المعرفة شئ..

- وإذا فرض وحبيت ولظروف معينه مقدرتش تعلن الحب ده .. ويعود خاطر الحارس الأسود إلى عقل الثعلب مرة أخرى .. ولكنه ينفصل عن نفسه .. ويعود إليها .. ويرد عليها .. فقد سعد بنفسه .. فهاهو يكسب جولة فقد أجبرها أن تخرج مابداخلها بالرغم منها .. وكان رده هادئا مقنعا.. وضع فيه كل إحساس الشفقة عليها فى نظرة وجهها إليها .

- يبقى حتفقدى كثير من لذة الحب .. بل حتعيشى معاناته وتضيع «أوليفيا» فيما قاله الثعلب .. فتذهب بعيدا مره أخرى .. وهنا تفضح عيناها تلك المعاناة التى بداخلها .. ولكنها فجأة وكأنها أفاقت إلى نفسها.. وحاولت أن تدارى أو تنفى ماخرج منها بالرغم منها .. ولتقلب الموضوع عسى أن تستطيع أن تتوه الثعلب ..

- فعلا لك حق .. مش حاأقدر أنكر الإحساس اللى حسيت بيه دلوقتى لأنى فعلا بحب .. بس مش قادرة حتى أقوله ..

- وليه متقوليش .. إذا كنتى فعلا حبتيه الحب ده كله فضرورى يكون وصله ده .. ويكون هو كمان بيحبك .

- يبقى هو يقول ..
- الراجل صعب يقول .. المرأة هنا هى اللى تقول
- أنت بتتكلم العكس ..
- برهانى ان الرجل لما يحب يخاف يفقد حبيبته .. فاذا قال ومكانتش هى بتحبه فعلا .. فمن الممكن أن يفقدها وفى الحالة دى بيحاول حتى

مايفقدش صداقتها .. فإذا شافت فى عنيه إنه حبها زى ماحبته على طول تقول له .. وهنا يوجه لها نظرة وضع فيها كل الحب .

وبمكر الأنثى .. تحاول أن ترد النظرة للثعلب .. فتنظر فى عيونه وهى تقترب بعيونها من وجهه لتأخذ مفتاح الحجرة من على المائدة بعد أن تقف وبهمس وهى فى هذا الحال وأنفاسها تقترب منه تقول .. فعلا شايفه فى عنيه دلوقتى الحب اللى حسيت بيه له من أول مرة شوفته فيها فى المطار.. تصبح على خير ياحبيبى وفجأة وبسرعة تستدير «أوليفيا» وتنطلق خارجه من المطعم .

يابنت الإيه .. هذا ما خرج من داخل الثعلب بعد انصرافها ثم وكأنه يكمل لنفسه .. بتلعب حلو .. بس برافو عليك ياأبو الثعالب .. خرجنا بحاجة ..

دخل الثعلب السويت الخاص به .. وغير ملابسه .. وارتدى ملابس النوم اقترب من الشرفة فشاهد إضاءة شرفة «أوليفيا» تضىء جزءاً من شرفته.. فتراجع عن فتح الشرفة .. واتجه إلى الفراش .. وأمسك بكتاب ..

كانت «أوليفيا» تجلس فى شرفة حجرتها انتظاراً لخروج الثعلب .. ولكنه تأخر فى الخروج .. فاتصلت بحجرة العمليات وسألت عن الثعلب.. فقيل لها إنه غير ملابسه ودخل الفراش ..

لحظتها ظهر على وجه «أوليفيا» كل الضيق لهذا التصرف من الثعلب من أى نوع هو .. لقد قالتها له بصراحة .. المفروض أن يقدم هو على الخطوة التالية وشردت «أوليفيا» فى تفكيرها .. أهو كاشف لها .. ألم تكن مقنعة عندما ألقت عليه بكلمات الحب الموجهة له .. أم ترى أنها تناشد حبيبها الحقيقى .. فشعر بعدم صدقها معه.

وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى خرج الثعلب من الفندق حيث استقل سيارة أجرة . وتوجه إلى منطقة الميناء .. واستقل الباخرة الذاهبة إلى تلك الجزيرة التى تلتقى فيها «أوليفيا» مع الحارس الزنجى .. وكان الثعلب يتربض على ظهر الباخرة عندما فوجئ ب«أوليفيا» تجلس على مقعد أمام حمام السباحة وهى تقرأ فى كتاب .

بحث الثعلب بنظره عن زميله المتابع له .. فلم يشاهده فوقف فى مكان واضح .. وقام بإعطاء أشارة معينة .. ظهر على أثرها زميله وتقدم من الثعلب الذى أعطى له إشاره الأمان بأن يتبعه .

دخل الثعلب إلى صاله الشاى بالباخرة .. فدخل زميله خلفه .. وهنا يلتقى به الثعلب .. ويجلسان ويطلب الثعلب عصيراً ويطلب الضابط مثله..

كانت تلك جلسة تلقين وتعليمات للضابط .. أولا وصف له «أوليفيا» ومكانها بالباخرة .. وسأله إذا كان معه كاميرات تصوير .. فأجابه بالإيجاب فطلب منه الثعلب تصويرها من الآن وفى كل خطواتها القادمة ثانيا إنهما الاثنان سيعتبران «أوليفيا» هدفا لهما يراقبانها على أن يكون زميله هو المتقدم وحتى لاتكشف أن الثعلب يراقبها .. ثالثا .. على زميله أن يكف عنها المراقبة عندما يشاهد إشارة بذلك من الثعلب .

وترسو الباخره عند الجزيره وهبطت «أوليفيا» .. وسارت مترجلة فى طرقاتها إلى ان وصلت إلى منزل صغير .. شقة مكتوب عليها لافتات للإيجار باليوم .. وحدد زميله الشقة التى دخلتها «أوليفيا» .. بينما كان الثعلب يستطلع المكان وجمع معلومات عنه فعرف أن زوار الجزيرة

يستأجرون الشقق بها لتكون كمكان يغيرون فيها ملابسهم ويستحمون بها بعد عودتهم من الشاطئ ويستريحون فيها وأحيانا يتناولون فيها الطعام .. ومن الممكن البيات بها ليلة أجازة نهاية الأسبوع ..

وتوجه زميله إلى مالكة المنزل وهى صاحبة محل حلويات أسفله وطلب منها استئجار شقة .. وفعلا استأجر الشقة المجاورة للشقة إلى دخلتها «أوليفيا» ..

وبينما كان الثعلب .. وزميله يجريان فحصا سريعا للشقة للوصول إلى منفذ يطلان منه على داخل الشقة الأخرى .. اذ بهما يسمعان أصوات صراخ مكتوم .. أثر صوت مثل فرقعة السوط .. نظر الاثنان لبعضهما بدهشة .. وضح فى عيون الثعلب انه مستعد ان يدفع مابقى من عمره ويعرف مايحدث ..

أختفى زميله للحظة ثم عاد مسرعا إلى الثعلب .. وأشار إليه أن يتبعه .. ووصل به إلى شرفة خلفية مهملة وغير مستخدمة لأنها تطل على أنقاض منزل متهدم .. حيث قفز منها زميله إلى الجزء الثانى الخاص بالشقة المجاورة .. وفعل الثعلب مثله بخفة ومن خلال فتحة الشيش المتسعة قليلا كان ذلك المشهد الغريب المرعب .

كان بداخل الحجره وحش آدمى أسود اللون عارى الجسد الا من قطعة جلد تخفى عورته .. ممسكا بسوط وينهال به على «أوليفيا» التى كانت ترتدى رداء ممزقا فكانت شبه عاريه وهى تصرخ فيه مسترحمة إياه .. وتستحلفه بحبها أن يكف عن تعذيبها .. فليأخذها فى أحضانه الدافئة .. ومع ذلك استمر ذلك الوحش فى ضربها بلا رحمة .. وذلك كله مع

خلفيه موسيقية رومانسية .. كانت هى نفس المقطوعه التى أثارت عواطف «أوليفيا» بالرغم عنها عندما كانت فى المطعم مع الثعلب .

نظر الإثنان لبعضهما .. الثعلب وزميله .. ولكن يبدو أن الثعلب قد أفاق من المفاجأة .. فأمر زميله بتصوير وتسجيل الصوت فأخرج زميله كاميرا سينما صغيره وسجل كل مايدور أمامه .

استمر الزنجى يضرب فيها واستمرت هى تصرخ وتسترحم .. وفجأة توقف عن الضرب .. وأخذها «آدم» الزنجى فى أحضانه .. وعربد هو فى جسدها وعربدت هى فى جسده بجنون .. وفجأة زاد جنونها فتخلصت منه.. ودفعت به بعيدا عنها .. وأسرعت هى إلى السوط .. وأمسكت به .. وبخبره حركته فى الهواء .. فيصدر منه صوت فرقعه شديده .. بلا إراده أفزعت كلا من الثعلب وزميله .. فنظر لبعضهما دهشة .. ثم نظر كلاهما بالداخل حيث كانت هذه المرة «أوليفيا» هى التى تنهال على «آدم» ضربا وبكل شراسه .. وكان وجهها لحظتها غريبا بتلك الوحشية التى كان عليها .. كانت تضرب بقسوة وهى تصرخ فيه أنت السبب .. حبك هو السبب .. أنا لازم أقتل حبك .. وفجأة تتوقف وتلقى بالسوط وتتغير وحشية وجهها إلى الرومانسية الشديدة وتسرع إلى أحضان ذلك الزنجى ويعودان إلى العربدة الجسدية مرة أخرى ..

ويبدو أن أعصاب الثعلب قد أكتفت بما شاهد .. ولم تطلب هذه المره المزيد .. فيكفيه ما حصل عليه وأشار إلى زميله .. وقفزا من تلك الشرفه.. وعادا إلى الشقة .. ويبدأ الثعلب وزميله يأخذان أنفاسهما براحتيهما .. ولكن كانت الدهشة على وجه كل منهما .



يقول الثعلب .. إنه عندما دهب إلى الجزيرة .. لم يكن فى حسبانه .. أو حتى فى خياله أن يرى ماشاهد .. أو أن يسمع ماقيل .. كان من غير المعقول الذى يتصوره .. علاقة غرامية بين سيده بيضاء ذات شأن وزنجى أسود أقل منها شأنا بكثير .. فهما لذلك يخفيان تلك العلاقة .. أما المعقول الذى يتقبله أى منطق فهو أن «أوليفيا» يشترك معها ذلك الحارس الأسود فى عمليه سريه تقوم بها ..

أما أن يؤخذ الثعلب على غرة ويفاجأ.. بما لم يكن فى الحسبان فذلك والحق يقال كان محتاجا لوقفة .

عاد الثعلب إلى الفندق .. وأخذ حماما .. واسترخى قليلا حيث كان يفتعل النوم .. ولكنه فى الحقيقة كان يعطى لنفسه فرصة ليفكر فى تلك الأحداث الغريبة التى حدثت .. وماتم اكتشافه .. وكيف أن الله كان معه ووفقه فى الحصول على تلك الأدلة والمستندات أو بالأصح على وسيلة السيطره التى تجعل عشرة مثل «أوليفيا» وحارس الأمن يخضعون لأى طلب يطلب منهما .. معنى ذلك ، إن الله وفق الثعلب فى ما كان يخطط له ولكن فى أسرع وقت .. ومن أسرع الطرق .

تمدد الثعلب على فراشه فى حجرته بالفندق وأسترخى ليريح نفسه من تعب اليوم .. وأطلق لتفكيره العنان فيما حدث بعد استعراضه .. فخرج من ذلك التفكير بأنه وصل إلى نتايج مبهرة فى وقت سريع جدا ..

فهاهى الجولة أصبحت فى يده وهاهو الخصم يترنح أمامه .. بقى أن يكيل له الضربة القاضية ليقع مستسلما ..

نهض الثعلب من فراشه .. وبدأ فى ارتداء ملابسه استعداد للعشاء وكانت «أوليفيا» قد وصلت .. فارادت أن تطمئن على صيدها الثمين .. فدخلت الحجرة المجاورة التى يراقب منها الثعلب .. ووقفت تشاهده وهو يرتدى ملابسه .. وكان الثعلب يتصرف طبيعى جدا رغم علمه أن صورته موجوده حاليا على الشاشة لديهم

كان الثعلب يتوقع أن تحضر «أوليفيا» إلى مطعم الفندق لتحتك به .. أو على الأقل لتثبيت موعد الغد .. حيث كانا قد أتفقا أن يتناولا طعام الغداء فى مطعم فوق الجبل .. ولكن لم تحضر .. وبالتالى أنهى هو عشاءه.. وصعد إلى جناحه .. وأراد أن يوصل لها عدم اهتمامه بها .. فذلك سيزيد من اطمئنانها له .. فبدأ يتحرر من بعض ملابسه .. ذلك عندما سمع طرقا على الباب فإذا ب«أوليفيا» أمامه فى أبهى صوره .. يفوح منها رائحة بارفان تميل له الرؤوس نشوة لقد ظل الثعلب للحظات ينظر إليها وهى واقفه وهو ممسكا بالباب .. ولم يفق من ذلك إلا بعد سماعها تقول.

ـ حتفضل موقفنى على الباب كده كثير ..

وبسرعه يعود الثعلب إلى رشده ويترك الباب ولكن بحرج يشير عليها بالدخول

ـ أ ... أتفضلى

ويحضرنى هنا السؤال الذى سألته للثعلب عندما كنت فى جلسه معه

وهو يقص على تلك الواقعه .. فقد سألته عما يشعر به وما حدث له من رد فعل عليه عندما شاهدها على هذا الحال .. هل انبهر فعلا بجمالها وشكلها ورائحتها .. أو أن ذلك كان تمثيلا .. وضحك الثعلب لحظتها وأجابنى بمكر .

«سؤال خبيث منك .. إنما حقولك .. نحن بشر .. بس أنا تكوينى كله مخابرات .. المخابرات فى دمى .. يعنى تصرفاتى كلها أتوماتيكيا .. زى بالضبط سواقة العربية .. بتنقل بدون تفكير .. أنا كمان فى المواقف اللى زى دى بانقل بدون تفكير .. »

المهم نعود إلى «أوليفيا» اللى دخلت جناح الثعلب وهى تنظر حولها..

ـ سويت جميل ..

ثم تجلس على مقعد مريح بطريقة شيك .. فهى من السيدات اللاتى يعرفن كيف تجلس المرأة جلسة صحيحة .. فجلسة المرأة لها قواعد .. وتعجب الثعلب فى نفسه عندما شاهد جلستها .. أين منها تلك السيدة التى كانت تضرب بالسوط منذ ساعات فقط .. ولكن فورا استبعد الثعلب تلك الصورة .. وبذوق شديد توجه ناحية الثلاجة وسألها ..

ـ تحبى تشربى إيه ..؟

ـ بليز .. ويسكى مع الصودا ..

هنا يتردد الثعلب .. وتلاحظ هى تردده فتسأله ..

ـ إيه الثلاجة مافيهاش ويسكى.

ـ الحقيقة أنا قلتلهم يشيلوا كل المشروبات الروحية أصلى مابشربش ..

ـ آه .. أنت مسلم

ـ وكمان عشان مابحبش الحاجة اللى طعمها وحش وأعتقد أن كل المشروبات الروحية طعمها مش حلو .

وبابتسامة حلوه مرحه

ـ يعنى لو فيه مشروب كحولى طعمه حلو .. تشرب

ـ الحمد لله مفيش ..

ـ فيه .. وأنا عندى .. حجيبه لاثبت لك إن فيه ..

ويحاول الثعلب أن يوقفها عن ذلك .. فيقاطعها

ـ أحنا سيبنا الأهم ومسكنا فى المهم .. ياترى ميعاد بكره أوكيه .. والا اتلغى ..

«أوليفيا» وهى تضحك بدلال وتقترب منه وتحاول أن تعدل من وضع الكرافت المفتوحة.

ـ دَه متوقف على حالتك الليلة .. أصل أنا بصراحة لما بخرج فى نزهة بحب أكون منطلقة .. أضحك أجرى أشرب أهيص وكأنها تعيب عليه .

ـ مابحبش الجدية اللى موجوده على وشك دى .. وبعدين المطعم اللى حنتغدى فيه بكره شهرته فى النبيت اللى بيقدمه .. وكل مأكولاته داخل فيها النبيت .. معنى كده إنك لاحتاكل ولاحتشرب .. يعنى مش حننبسط.. ثم بدلال وهى تلتصق به أكثر وبأغراء

ـ أنت مبتحبش تنبسط ..؟ أنا بحب ..

إلى هذه المرحلة وكان على الثعلب ان يحدد موقفه .. إنها تستميله .. واذا امتنع بعد كل هذا فانه يكشف نفسه .. لانه لايوجد رجلا يقاوم ماحدث من تلك المرأه .. وفى نفس الوقت .. أخلاقياته .. وسلوكه لايسمح له بذلك فما التصرف .. وهنا تظهر الخبره ..

إن الثعلب مكلف بمقاومة النشاط الإسرائيلى .. فدرسهم كواحد منهم ومن دراسته عرف أنه لايمكن لأحد من العاملين بالموساد سواء رجلا أو أمرأة أن يمارس الجنس ليحصل على معلومات .. فذلك والحق يقال ممنوع لديهم .. هم اذا اضطروا لذلك يستأجرون عملاء هذا هو عملهم .. إذن فما تفعله «أوليفيا» الآن لن تسمح لنفسها أن تصل به إلى نهايته فليستغل هو ذلك .. وليستفيد بتلك المعلومة .. حتى على الأقل ليثبت صحتها .. وفعلا أقدم الثعلب على ذلك على أمل أن تمنعه هى .. وفعلا حدث .. فكسب نقطة من نقط الاطمئنان له وأراد الثعلب أن يخرج بها من الحالة التى كانت عليها .. فنظر إلى حقيبة السفر ثم لها.. وقال ..

ـ أوحش حاجه عندى تحضير الشنطه للسفر ..

وأندفعت هى فقد فوجئت بنبأ سفره ..

ـ أنت حتسافر

ـ بكره ..

ـ يعنى مش حتخرج معايا .. أنا عملت حسابى ..

ـ طيارتى الساعه أتناشر بالليل ..

ـ وكآنها أستردت روحها .. يعنى ممكن

ـ عندنا طول اليوم

«أوليفيا» وكأنها قد خاب أملها للحظة.. ثم عاد لها الأمل مرة أخرى..

ـ وحترجعلى أمتى ؟

ـ عايزانى أرجع تانى

ـ ضرورى .. أنت خلصت شغلك ..

ـ عملت كل مقابلاتى مع الشركات .. وكمان مضيت بعض العقود الجديدة

ـ بس معانا لسه
ـ أتاخرتم عليه فحسيت إنكم مش جاهزين للتعامل مع شركتى ..
ـ أنت حتى مسالتش .. ومطلبتش الرد
ـ أنا طلبت المقابلة وعرضت.. كان المفروض تطلبوا أنتم مقابلتى وتبلغونى بالقبول أو الرفض.. وده محصلش لغاية دلوقتى .. يبقى خلاص.
ـ أنت كده بتتعامل مع شغل الملاحة بطريقة عسكرية ..
ـ نقدر نقول إنها بطريقة جدية ..
ـ بس أنا أعرف .. أن مستر «توماس» كان عايز يقابلك .. بس بعد مجلس الإدارة اللى حيجتمع بعد بكره أقدر أخليك تقابله بكرة .. وتركز فى النظر عليه وكأنها تريد أن تقرأ ما على وجهه وقبل أن ينطق تصحح
ـ قصدى يعنى كان حيبعت يطلب مقابلتك بكره عشان يبلغك إنه حيقول لك على قرار المجلس بعد بكرة ..
ـ أوكيه .. أنا بكره فاضى من الساعة ثمانية ونص لتسعه ونص .. عشان طيارتى الساعة اتناشر بالليل
ـ وبابتسامه .. وبإعجاب شديد تقترب منه وتحيط رقبته بذراعيها
ـ أوه .. أنا بحب ألحزم ده قو ى..

وتهم بالتقدم منه .. وفجأة يدق جرس التليفون ويسرع الثعلب إليه ويرفع السماعه حيث نسمع معه على الطرف الآخر صوت «حاييم» .. وبعد التحيات .. يبلغه «حاييم» أنه يريد مقابلته فى اليوم التالى .. وعليه أن يحدد الموعد الذى يزوره فيه «حاييم» فى الأوتيل .. وبابتسامة وبأدب يحدد الثعلب ل«حاييم» موعدا من الساعه التاسعه إلى التاسعه والنصف مساء الغد وعندما يضع السماعه ينظر الثعلب ل«أوليفيا» مبتسما وهو يقول :

ـ وكان مستر «توماس» سامعنا ..
ـ هو اللى كان بيتكلم ؟
ـ وحنتقابل هنا فى الأوتيل الساعه تسعه ..
ـ مش أننا قلتلك .. ولو أنى مفروض ماأقولش..

طبعا واضح ياقارئى العزيز ماحدث .. فقد نقل سريعا حديث «أوليفيا» مع الثعلب .. وموعد سفره .. فكانت تلك المكالمة .. التى كانت وكأنها تنفيذا لأمر غير مباشر أطلقته «أوليفيا» .. فنفذ فى لحظته .. وكانت تلك المكالمة نتيجته .

المهم .. «أوليفيا» وجدت أنه يكفى ماحدث .. فأظهرت رغبتها فى الانصراف .. وفجأة والثعلب يقوم بتوديعها قرب الباب .. أحاطت رقبته مرة أخرى بذراعيها وفاجأته بقبله .. وخرجت .. ولم يظهر الثعلب امتعاضه من تلك القبلة .. خوفا من شك مراقبيه فيه .

وفى صباح اليوم التالى .. التقى الثعلب فى مطعم الفندق بـ«أوليفيا» .. حيث تناولا طعام الإفطار سويا .. ثم اصطحبته فى سيارتها إلى ذلك الجبل.. حيث على قمته ذلك المطعم الذى يصلون إليه بالتليفريك بعد أن يتركوا سيارتهم فى منطقة ما على ارتفاع معين ..

وقبل أن تستقل «أوليفيا» والثعلب التليفريك .. أحاطت يدها بيده . وكانت فى حالة من المرح وتدفق العاطفة التى عانى منها الثعلب كثيرا ليظل مسيطرا على اتزانه معها .. حيث تجولت به فى مناطق المزارات التى يشاهدها السياح قبل أن يصعدوا إلى قمة الجبل .. وكانت «أوليفيا» تتعامل مع الثعلب على إنها محبوبته فمن آن لآخر كانت تفاجئه بالعناق والقبلات وقد لاحظ الثعلب أنهم يصورونه مع «أوليفيا» فى خلال تجولهما .

حقا إن الثعلب كان لا يمكن أن يردها عما تفعل .. ولكنه كان دائما يشعرها أنه أكبر من أن يتعامل معها كمراهق ونجح بذلك من أن يقلل من كمية مجونها معه .. ويبدو إن ذلك قد صادف هوى لدى «أوليفيا» الأنثى.. وليست «أوليفيا» التى تتعامل معه لإيقاعه فى حبائلها لتحوله إلى جاسوس لها خاضع لسيطرتها ..

كانت «أوليفيا» تؤدى دورها بأمانة .. ولكن والحق يقال إذا سئلت هى وكان من المسموح لها أن تجيب بصراحة.. كانت ستذكر أن الثعلب أول مشروع عميل استحسنت استمالته وتلبيه لها كأنثى .. لأن به كبرياء الرجل الشرقى وعدم تلهفه .. لقد وضح ذلك من كلامها معه بعد أن صعدا إلى المطعم وجلسا فى ذلك الركن الذى يطل من أعلى .. على تلك المدينة الجميلة .. وكانت الرومانسية بأحلى مشاعرها .. «أوليفيا» كانت وكأنها لا تمثل الحب .. بل كانت وكأنها أحبت الثعلب فعلا وشعر هو بذلك .. وتعجب فى نفسه .. فأخذ يلهيها بالحديث .

لقد تحدثا وهما يتناولان طعام الغداء فى كل شىء .. وأى شىء .. حين تحدثت هى عن نفسها .. وقالت إنها من أصل أسبانى فهى فعلا تشبههن .. حاولت «أوليفيا» أن تكون محبوبة لهذا الرجل .. وعملت المستحيل من أجل إتقان ذلك .. وتجاوب معها الثعلب فى حدود المعقول.. وكان دائما ما يردد نغمه إنه شرقى ..

وانتهى اليوم .. وعاد الثعلب إلى الفندق حيث التقى فى الساعة التاسعة بـ«حاييم» .. وكانت ترافقه «أوليفيا» حيث بلغ الثعلب موافقة أعضاء مجلس إدارة الشركة على التعامل مع شركته تاور العالمية .. وطلب من الثعلب بعض المستندات .. وتم الاتفاق على أن يحضرها معه الثعلب فى زيارته القادمة..



وفى مطار القاهرة .. كان أحد موظفى شركة جبران للملاحة فى انتظاره حيث قام الموظف المرافق بتخليص الإجراءات بسرعة وخرج الثعلب من المطار وكانت فى انتظاره سيارة من سيارات الشركة .. حيث نقلته إلى مكتبه بالشركة .

وقام الثعلب بمباشرة عمله بالشركة .. حيث كان قد تمكن فعلا من إنجاز عمل لها .. واجتمع الثعلب برؤساء الأقسام بالشركة وعرض عليهم إنجازاته وتلقى تهنئتهم على ماأنجزه .. أى نستطيع أن نقول : إن الثعلب قام فعلا بأعماله كمدير لشركة جبران للملاحة ..

ثم استقل الثعلب سيارته حيث توجه إلى منزله .. وتركها فى جراج العمارة واستقل المصعد الداخلى إلى شقته .. فقد كان الثعلب يتوخى الحرص الزائد ففيه كل الأمان .

فى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل .. كان الثعلب فى جراج العمارة يستقل سيارة أخرى مغلقة .. وتوجه بها إلى مبنى المخابرات العامة.. حيث كان اجتماع لجنة متابعة العملية برئاسة المشير «أحمد إسماعيل» رئيس المخابرات العامه المصرية .. حيث أدلى الثعلب بتقرير شفهى لما حدث وما أنجز طوال فترة سفره .. ثم عرض عليهم أحد الفنيين الشريط السينمائى الذى صور لـ«أوليفيا» مع ذلك الحارس الأسود .

ونوقش الثعلب فى كل كبيرة وصغيرة .. وشكر الثعلب على ذلك

المجهود الذى أوصله لتلك النتائج المبهرة .. ولكن انقسم أعضاء اللجنة إلى قسمين : فمنهم من طالب باستخدام ذلك الشريط كأداة سيطرة على «أوليفيا» لتجنيدها .. والقسم الآخر يفضل تجنيد الحارس الأسود المدعو «آدم» ..

وكانت مناقشة استغرقت الليل كله .. فالفريق الأول الذى يطالب بتجنيد «أوليفيا» .. يرى فيها فائدة أكثر للعملية .. فهى المسيطرة على ذلك المكان .. وهى أيضا حاملة للمعلومات .. أما الحارس فهو بالكاد سيساعد فى الدخول إلى المكان .. والفريق الآخر يرد على ذلك بأن ذلك هو المطلوب فعلا من عملية «صقر سامع» فقط دخول قاعة الاجتماعات.. من أجل وضع أجهزة الاستماع .. أذن فلا داعى لتجنيد «أوليفيا» .. وهى أحد أفراد الموساد ومحاولة تجنيدها ممكن أن تؤتى بمشاكل .. نحن فى غنى عنها ..

وانتهت المناقشة قرب الفجر بقرار من اللجنة .. بأنه على الثعلب أن يقوم بتجنيد ذلك الحارس الأسود «آدم» لوضع أجهزة التسمع فى مبنى الشركة، وعلى الثعلب أن يختار من سيستعين بهم فى العملية .

واختار الثعلب هؤلاء الأفراد وكان عددهم سبعة .. حسب مواصفات معينة راعى أن تكون مشتركة في الجميع .. منها الجرأة ، وهدوء الأعصاب .. والكفاءة فى العمل ، وأن يكون كل منهم لديه روح العمل كفريق .. فالكل سيعمل فى وقت واحد حتى ينجز العمل فى أسرع وقت.. وبكفاءة شديدة .. ثم عمل لهم برنامج تدريب يسيرون عليه لحين ساعة الصفر .

أصبح للثعلب نظام يومى معين .. صباحا فى مكتبه بشركة جبران

للملاحة ومساء بعد العاشرة بالمخابرات العامة .. فى اجتماعات مع أعضاء اللجنة وفى الإشراف على تدريب الفريق ..

وفى اليوم الرابع بعد عودته .. وصل إلى مكتبه بالشركة فأبلغته السكرتيرة بالتليفونات التى وصلت له .. ومن بينهم ذكرت تليفونا من سيدة أجنبية تقيم بفندق شيراتون حجرة ٤١٦ تطلب منه الاتصال بها واسمها «أوليفيا» ..

كان الثعلب لحظتها يرتشف من فنجان قهوة .. ويبدو أنه من المفاجأة قد ارتشف رشفة كبيرة من القهوة الساخنة وصرخ فى السكرتيرة .. بتقولى مين... ؟!

فأعادت السكرتيرة عليه ماذكرته .. فصرفها شاكرا بعد أن استطاع بسرعة السيطرة على نفسه ..

رفع الثعلب سماعة التليفون .. وطلب الشيراتون ثم الحجرة فردت عليه «أوليفيا» وكان صوتها كله اشتياق له .. فوعدها بالحضور إليها ولكن بعد أن ينجز أعماله ومواعيد العمل المرتبط بها .

كان الثعلب يريد أن يأخذ فرصة حتى يلتقى بأعضاء اللجنة أولا قبل الذهاب إليها .. وهو مازال يفكر فى أسباب حضورها إذا بالسكرتيرة تطرق الباب وتدخل وبيدها مظروف متوسط الحجم .. وتسلمه للثعلب .. فقد أحضره الآن رجل قال إنه من فندق شيراتون .

أخذ الثعلب المظروف .. وصرف السكرتيرة .. وفكر قبل أن يفتحه .. حقا توقع الثعلب بينه وبين نفسه أن حضور «أوليفيا» إلى مصر ماهو إلا بسبب تجنيده .. وأن هذا المظروف به صور لها معه .. والتى شعر أنهم

كانوا يصورونه معها وأنها كانت تتعمد الالتصاق به فى أوضاع غريبة أثناء التصوير .. وفعلا عندما فتح المظروف .. شاهد مجموعة من تلك الصور والتى يراها لأول وهلة لابد وأن يحكم عليه بالمجون .

قام الثعلب بعدة اتصالات من منزله بأعضاء اللجنة .. وتم الاتفاق على الاجتماع فى مبنى المخابرات العامة فى السادسة والنصف وذلك لبحث الموقف .. واتخاذ قرار بالخطوة التالية ..

وصل الثعلب إلى مبنى المخابرات العامة متأخر عن باقى أعضاء اللجنة.. فقد كان من الضرورى أن يأخذ جانب الحرص بعد ماتطورت الأمور إلى هذا الحد .. فلم يقترب الثعلب من مبنى المخابرات العامة إلا بعد أن زال كل شك عن نفسه أنه متابع .

وصل الثعلب إلى الاجتماع وكان المجتمعون قد تناقشوا فى موضوع وصول «أوليفيا» ووضعوا له الاحتمالات .. وأراد المشير «أحمد إسماعيل» أن يضع الثعلب فى الصورة فطلب من أحد أعضاء اللجنة تلخيص مادار من مناقشة للتعلب وبدأ العضو يتحدث واستمع الثعلب .

ذكر العضو أن هناك ثلاثة استنتاجات لحضور «أوليفيا» ..

أولهم : هو عرض التجنيد على الثعلب .. ورأى بعض أعضاء اللجنة انه إذا صح ذلك فعليه أن يسايرها .. ويقبل التجنيد .. وبالتالى فإنه عندما يسافر سيلتقى بـ«أوليفيا» أو بالقائم بتشغيله في ذلك المكان السرى الذى تجرى فيه عمليات الموساد من مقابلات سرية وخلافه .. وأيضا هو نفس المكان الذى يجتمع فيه قواد مخابرات الموساد مع قواد مخابرات الدول الصديقة لها .. وهذا المكان هو هدف الثعلب .. وهو الذى يريد دخوله .. وبهذه الطريقة أصبح دخول ذلك الهدف سهلا .. ويكونون هم الذين ساعدوه على الدخول ..

ورأى ثانٍ أنه يجب انتهاز الفرصة بالإسراع بتجنيد «أوليفيا» .. مهما كان سبب حضورها .. سواء كان بغرض تجنيد الثعلب .. أو لأى مهمة أخرى.. فلو ووجهت هنا بوسيلة السيطرة المأخوذة عليها .. مستغلين الناحية النفسية .. لأنها ليست على أرضها .. فإنها حتما ستوافق على قبول التجنيد .. وبالتالى يبدأ فى تشغيلها من هنا ..

ورأى ثالث .. هو رفض انصياع الثعلب للتجنيد .. ذلك إذا كان هذا هو الغرض من حضورها ويكتفى بما حدث .. على أن يتم القبض عليها.. وإنهاء العملية وتعرض على الرئيس السادات نتائجها ..

وأسرد العضو .. أن الرأى الأخير رفض من أعضاء اللجنة فرجال المخابرات لن يعجزوا عن تحقيق أمنية رئيس بلادهم .. كما ذكر أن المناقشات كانت مستمرة حول باقى الاقتراحات .

واستكملت مناقشة الموضوع بحضور الثعلب وباشتراكه فيها وأعاد أعضاء اللجنه المناقشة من جديد .. ونوقش الأمر من جميع وجوهه .. ولكن أبدا لم يصل أحد المجتمعين إلى تفسير مقنع لما حدث .. إلا تفسيرا واحدا أطلقه الثعلب .. أن «أوليفيا» لديها ماهو أقوى من الصور .. وهو ماتدخره لعملية التجنيد ..

فهذه الصور رغم مابها لايخشاها رجل مخابرات .. بل من المحتمل أن يخشاها الرجل العادى الذى يريد أن يحافظ على بيته ويحتفظ باحترامه بين أفراد عائلته .. لذا فهو يتوقع أن تكون «أوليفيا» قد جهزت أداة سيطرة أخرى أقوى عندما تحاول تجنيده .

وهنا يسأل جميع أفراد اللجنة الثعلب .. عما إذا كان قد تطور بعلاقته

معها لأكثر مما هو معروف .. فأجاب الثعلب بالنفى القاطع وصدقه الجميع بلا نقاش .

أوقف المشير «أحمد إسماعيل» المناقشة وقرر أنه لابد من انتظار نتيجة لقاء الثعلب بـ«أوليفيا» وبناء عليه يتقرر تجنيدها من عدمه .. ويترك للثعلب حرية التصرف طبقا للموقف .. وكان رأيه أنه بعد ماحدث .. أى بعد وصول الصور إلى الثعلب فإنه من الطبيعى أن يكون له رد فعل .. ورد فعله هو سرعة اتصاله ولقائه بـ«أوليفيا» ..

وفعلا يتم الاتصال من حجرة الاجتماعات .. وترد عليه بصوت ماكر.. وتبادره بقولها :

ـ ضرورى الصور وصلت .. أنا قلت إنك مش عايز تشوفنى .. فبعت لك الصور .. أحسن أسافر قبل ماأشوفك وتاخدهم .

ـ مين قال إنى مش عايز أشوفك .. أنا كنت حجيلك .. بس أفضى نفسى .

ـ أوكيه .. يبقى حنتعشى مع بعض ..

وقبل أن يغادر الثعلب مبنى المخابرات العامة .. كان قد جهز بجهاز صغير بحيث يسمع ويسجل من خلاله كل ماسيدور بين الثعلب و«أوليفيا» وانطلق إليها بالفندق ..

وصل الثعلب .. واتصل بـ«أوليفيا» من الرسبشن فردت عليه بصوت ناعم فيه كل الحب .. بأن يصعد لها .. وهنا ضحك الثعلب وأفهمها أن مصر غير الخارج .. هنا يوجد قيود .. وكان ردها أنها تقيم فى سويت .. ومسموح لها بلقاء زوارها فيه وعليه بسرعة الصعود إليها بالدور العاشر ..

واضطر الثعلب إلى الصعود .. حيث استقبلته برداء نوم حرير أبيض

وروب من نفس النوع .. وكـانت ترفع شعـرها الناعم الكثـيف لأعلى .. وعلى وجهها مكياج شاحب زادها جمالا وإثارة.

لحظتهـا وكـمـا قال لى الثعلب بعد ذلك.. عندما شاهدها على هذا الحال.. توقع منها شرا .. ومع ذلك تجاوب معها ولم تتركه إلا مع سماع طرق على باب الحجرة .. ولحظتـهـا حـمـد الثعلب الله على خلاصه من يدها ..

ويدخل أحد عـمـال الفندق حـامـلا بعض المشروبات يقـدمـهـا لهـمـا ويخرج.. وتعود «أوليفيا» إلى الثعلب .. ولكى يتحاشاها .. تحدث سريعا مبديا سعادته بحضورها لمصر .. ولم يشر إلى تلك الصور التى أرسلتها له بل كان حديثه معها عن سبب تلك الزيارة المفاجئة .. ويفاجأ الثعلب بردها وهى تقترب منه :

ـ أنا جاية مخصوص عشانك ياخبيبى ..

ويندهش الثعلب وهو يكرر آخر كلمـة كـمـا نطقـتـهـا بالضـبـط ولكن بدهشة منه:

ـ ياخبيبك ..!! أنت بتتكلمى عربى ؟

وبلكنة مكسرة لذيذة

ـ أيوه ..

ـ ومتكلمتيش معايا عربى واحنا هناك ليه ؟

ـ عشان مكناش أنا وأنت فى مصر ..

ـ ودلوقتى ..؟

ـ هنا فى مصر ..

ـ واتعلمتى العربى من مين ؟

ـ من الأبو بتاع أنا وأمى بتاعة الأنا ..

ـ وأبوكى وأمك اتعلموه فين ؟

ـ فى مصر .. أنا من هنا .. مولودة .. فى فى فى .. فى الحى بتاع العوتبة الخدرة

ـ العتبة الخضراء ؟!!

ـ أيوه .. ها ها هارت درب البرابرة نوميرو تمانية عشر

الثعلب بدهشة

ـ ياسلام !!

ـ المصرى يرد على دى ويقول .. إن شاء الله .. تسلم .. مش كده حبيبى وتنطلق فى ضحكة طويلة متقطعة .. ثم اقتربت منه وكادت تجلس على قدميه .. فينهض وينظر لها بدهشة وبنظرة شك ..

ـ أنت إيه بأه بالظبط ..

ـ كويس أنت عايزنى أخوش فى جوه الموضوع على طول .. أوكى أنا وأنت قرايبين .. أنا أبقى بنت عمك ..

الثعلب يبدى نظرة عدم رضاء وبامتعاض

ـ بنت عمى إزاى .. مش فاهم !!

تنهض وتمسك بيده وتجلسه مكانه وتجلس على قدميه ..

ـ أنا أفهمك ياخبيبى ياابن عمى .. أنا جايالك .. ومعايا اللامبه بتاع علاء الدين .. تهكه كده .. يطلع مارد كبير يقول لأنت .. «شبابيك لابابيك هو بين أيدين أنت» .. تقوله هات ألف دولار يعمل كده يجيب.. هات إتنين الف .. يعمل كده يجيب .. هات تلاته ألف .. يعمل كده يجيب ..

ـ «أوليفيا» أنت بتهرجى ..

ـ أنا باتكلمتوا جد ..

ـ فى مقابل أيه ده كله .

ـ عشان تبقى معانا ..

ـ أنتم مين بأه ..
ـ إحنا ولاد العم بتاع أنت .. استنى خبيبى .. أنا حقولك كل خاجة.. بس بعد ما تتفرجتوا على خاجة ..

تنهض من جواره إلى حقيبتها وتخرج مظروفا .. وتخرج منه بعض الصور وعرضتها عليه .. وتضعه فى جهاز .. فشاهد الثعلب نفسه معها فى أوضاع مخلة غريبة ..

كانت «أوليفيا» تركز على وجه الثعلب أثناء مشاهدته لتلك الصور .. وكان الثعلب قد حجب أى تعبير على وجهه .. أصبح وجهه لايقول شيئا.. ويظهر التعجب على وجه «أوليفيا» لعدم وجود أى تعبير على وجه الثعلب .. الذى نظر لها وبهدوء..
ـ مين ده بأه؟
ـ ده أنت ياخبيبى
ـ ده ماحصلش .. ده صوره مصنوعه ..

وتضحك هى وبنظرة كلها تحدى .. وتغير من العربية إلى الإنجليزية ..
ـ تفتكر لو المدام شافت الصور دى حتقول مصنوعة .. لا طبعا حتصدق وإلا موظفين الشركة .. فضيحة .. مش كده .. أحنا مش بنهرج يا«شوكت» .. واللى عايزينه حناخده .. أنت راجل ذكى .. استفيد واسعد نفسك .. واسعدنى بيك ..
تقترب منه وتلتصق به ..
ـ أنا بحبك ياشوكت .. أرجوك وافق .. بعدين غصب عنى حيروح للمدام ..

ويرسم الثعلب تعبير الخوف على وجهه ويسألها ..

ـ وليه عايزه تعملى كده ..

«أوليفيا» يتقلب وجهها إلى شراسة وجدية .. وباندفاع فيه التهديد ..

ـ اسمعنى كويس يا«شوكت» .. أنا جايه هنا مخصوص عشانك .. الموساد محتاجة إنك تتعاون معاها .. وبتعرض عليك فعلا مصباح علاء الدين .. مكافأتك حتحددها أنت .. كل تقرير معلومات يحمل درجة سرية « سرى للغاية» حتاخد تلت آلاف دولار .. والتقرير إللى فيه معلومات «سرى جدا» ألفين دولار .. والتقرير اللى فيه معلومات « سرى» ألف دولار ..

ينظر لها الثعلب مفتعلا الدهشة مع الخوف ..

ـ أنت يهودية؟

وترد عليه «أوليفيا» بتأكيد ..

ـ أنا إسرائيلية .. ومن الموساد ..

ثم تتلون .. وبرومانسية شديدة .. بس أنا حبيتك من ساعة ماشفتك حقيق أنا حبيتك .. وأنا حاسة وشاعرة أنك أنت كمان حبتنى فاضل إنك توافقنى على اللى جاية عشانه .. عشان نفضل قريبين من بعض على طول.. أنا اللى حشتغل معاك .. وبكده تكمل سعادتنا مع بعض ..

ثم يتحول تعبير وجهها إلى الشراسة .. واذا محصلش .. حضطر أبعت الصور دى للمدام .. وأنا عارفة ده ممكن يعمل أيه .. مع ست مصرية .. يعنى حخرب بيتك .. ومش هى وبس حبعت نسخة للشركة بتاعتك عشان الموظفين يتفرجوا عليك .

ثم تقترب منه .. وتحتضنه .. وتعافر معه بثورة عاطفية وهى تسمعه كلمات الوله والشوق والرغبة .. ويشعر الثعلب بنيتها فى الاستمرار .. ولايحتمل الرجل ماكانت تفعله معه تلك المرأة فقد كانت يديها بحركاتها السريعة تحيط رقبة الثعلب كأذرع الأخطبوط .. وكان الثعلب لايستطيع ملاحقة سرعة التفاف ذراعيها حوله .. لقد تحمل مايزيد عن طاقة تحمله كرجل.. وفى لحظة شعر أنه على شفى فقد السيطره على نفسه .. فأراد أن يحمى نفسه منها .. ولم يجد بدا من إيقافها الا أن يرفع يده ويصفعها بقوة ثم ألحقها بصفعة أخرى أقوى وياهول ماحدث بعد ذلك .. لأنه عندما ضربها .. كان وكأنه سكب البنزين على النار المشتعلة فتوهجت بثورة .. لقد تشبثت به أكثر .. وهذه المرة بجنون .. فضربها أثار فيها ساديتها .. فزاد ذلك من رغبتها .. حقا كانت فى أول الأمر تمثل عليه .. ولكن بعد أن ضربها خرجت عن سيطرة نفسها ووقعت تحت سيطرة المرض الشاذ المصابة به .. فتعلقت به أكثر .. وزاد ذلك من قوتها وهى تحاول أن تخضعه لرغبتها ..

كانت وكأنها تفيق للحظة أثناء ثورتها .. فتصرخ فيه بعكس ماكانت تطلب منه .. كانت هذه المرة تصرخ بألا يضربها .. ليس لألم أحست به.. بل لمساعدتها فى رفض الرغبة التى تجتاحها لأنها تريد أن تتماسك ولايحدث مايطالب به ذلك الوحش بجسدها .

ولكن الثعلب كان مستمرا فى ضربها .. وكل ماكان يقاومها بالضرب كل ما كانت ثورتها تزداد .. كان وكأنه يلهب ظهر ذلك الشيطان الذى يحتل جسدها بسوط فيزداد عنفا بازدياد رغبتها ..



كان الموقف مشتعلا بين الثعلب الذى يقاوم بالضرب «أوليفيا» التى كان الضرب يزيدها ثورة ورغبة .. وللحق وكما قال الثعلب بعد ذلك .. إن صراخها المستميت له بعدم ضربها هو الذى أوقفه من استمراره فى الضرب وهو الذى أعاد إليه تماسكه .. فأوقف ضربه لها وأخذ يربت عليها ويهدأ من ثورتها التى استمرت .. ولكنها كانت قد أجهدته .. فحملها بين ذراعيه وأسرع بها إلى الحمام .. ووضعها فى «البانيو» وفتح عليها المياه الباردة حتى بدأت تعود إلى وعيها .

انفجرت «أوليفيا» فى البكاء فجأة .. وصرخت فى الثعلب تطلب منه أن يتركها بمفردها .. ووجد الثعلب أنه من الأصلح فعلا أن يخرج من الحمام .. فخرج وأغلق الباب .

انهارت «أوليفيا» فى البكاء .. كان تعبير وجهها يوحى بعظم معاناتها.. خلعت ملابسها المبتلة .. وارتدت برنس الحمام .. ووقفت أمام مرآة الحوض تنظر إلى وجهها بعد أن تمالكت نفسها .. كانت مظاهر الألم واضحة فى عينيها .

وتماسكت «أوليفيا» .. ثم شردت مفكرة .. ثم لمعت عيناها .. وفجأة أمسكت بحقيبة أدوات الحمام الخاصة بها .. وأخرجت منها علبة صغيرة جدا .. فتحتها وكان بها كبسولة شكلها غريب .. نظرت لها «أوليفيا» مليا .. فى أول الأمر كانت مترددة .. ثم فجأة وضعتها فى فمها .. لقد كانت كبسولة الموت .

ولكن وقبل أن تبتلع تلك الكبسولة .. فجأة فكرت ثم تراجعت عن قرارها فأسرعت بإخراج كبسولة الموت من فمها .. ووضعتها فى علبتها .. وأعادتها إلى الحقيبة .. ثم سوت من شعرها .. وتماسكت واتجهت إلى باب الحمام وفتحت وخرجت ..

شاهدت «أوليفيا» الثعلب جالسا على مقعد مريح وهو مسترخٍ ولكن عيونه كانت بها بريق غريب .. وشاهد الثعلب «أوليفيا» خارجة من الحمام .. كان جمالها هذه المرة جمال من نوع آخر .. كان ذلك الجمال الطبيعى بدون أى تدخل من مساحيق الجمال الصناعى .

تقدمت «أوليفيا» من مقعد قريب من الثعلب .. وجلست .. وبشبه همس به كل الخجل :

ـ أنا آسفة ياشوكت .

ويرد عليها الثعلب بابتسامة وبهدوء:

ـ بتتأسفى ليه يا «أوليفيا» .. مفيش حاجة حصلت .

وبشبه عصبية هادئة :

ـ لا فيه .. أنا خرجت عن حدودى .. أنت كمان ..

ويرد الثعلب :

ـ لا .. أنا مخرجتش .. أنا كنت بقاومك ..

وفجأة .. وبعد نظرات الاستكانة التى كانت عليها .. تتبدل هذه النظرات إلى نظرات شيطانية .. وبشبه تهديد للثعلب :

ـ بكرة تشوف .

ـ بكرة حشوف إيه ؟

ـ بكرة حتشوف صور تانية .. اللى حصل بينا دلوقتى كان مادة لصنع صور أسخن من الأولى .. أحنا كنا بنصورك يا «شوكت» .. وحابعت

الصور دى للمدام ..

كانت «أوليفيا» تكذب .. فهى لاتسلم بسهولة .. تصورت أنها ممكن أن تستخدم أسلوب الخداع مع الثعلب.. وذلك بغرض أن تكافح معه لأقصى درجة.. ولكن.. كيف تقبل الثعلب تلك المناورة منها.

ينهض الثعلب من مكانه.. بشبه انفعال:

ـ عايز تفهمني..

تقاطعه «أوليفيا» :

ـ عايزة أفهمك إنك لازم توافق على التعامل معانا.. مفيش قدامك غير إنك توافق.

الثعلب يعود للجلوس وكأنه كان يفكر.. ثم بعد لحظة يسمعان طرقا على الباب.. وهنا يتحدث الثعلب:

ـ أنت مستنيه حد.

أوليفيا وهى تنهض وتتجه إلى الباب:

ـ لا..

وتفتح «أوليفيا» الباب.. لترى أحد العاملين بالفندق يحمل صندوقا متوسط الحجم .. وقبل أن تسأله متعجبة يكون قد انصرف.. وتدخل «أوليفيا» الحجرة بعد غلق الباب وهى متعجبة وقبل أن تنطق يسألها الثعلب وبشبه تهكم:

ـ ياترى جابولك الصور اللى صورتها لى

أوليفيا تنظر للصندوق ثم «للثعلب».. ولا ترد وزاد التعجب على وجهها..

وبابتسامة من الثعلب.. ينهض ويتجه إلى الصندوق ويخرج منه آلة

عرض سينمائى ويقوم بوضع شريط بها.. «وأوليفيا» تقف تنظر اليه مذهولة

يبدأ الشريط لترى «أوليفيا» نفسها مع ذلك الحارس الزنجى وهو ينهال عليها ضربا بالسوط.. وهنا يجب أن نتوقف لنوضح مفاجأة وصول ذلك الشريط ومن الذى أرسله؟

كانت لجنة متابعة العملية من خلال أجهزة التنصت والمشاهدة بغرفة «أوليفيا» تتابع تطور اللقاء.. ولذلك سارعت بإرسال آلة العرض الشريط للـ«ثعلب» حتى يتمكن من امتلاك الموقف.. وليساعده على التحرك ضد «أوليفيا».. وبمعنى أصح.. كان أمرا من لجنة المتابعة بقيام الثعلب بتجنيد «أوليفيا». نعود مرة أخرى لمتابعة الموقف.. كان الثعلب قد فهم الرسالة التى أرسلت إليه بإرسال الشريط.. فكان ينظر إلى «أوليفيا» بتركيز على تعبير وجهها.. وعندما التفتت إليه وفى عيونها كل الدهشة.. فوجئت بنظرات غريبة مركزة عليها من الثعلب.. كانت نظرات من نار.. كلها قوة وقسوة.. فيها التهديد والوعيد.. وأخيرا نطقت «أوليفيا» متسائلة.

ـ أنت مين؟

ويرد عليها الثعلب.

ـ أنا ضابط مخابرات مصرى.

أوليفيا بغيظ.

ـ وجاتلك الجرأة تيجى لغاية عندنا هناك وتخدعنا.

وفجأة وبقوة الجريح المفترسة أمسكت بأباجورة بجوارها وهجمت بها على الثعلب.. الذى تمكن فى آخر لحظة من الإمساك بذراعها والانحناء لأسفل ليتفادى الضربة القوية.. ولكن «أوليفيا».. استعادت توازنها وبدأت الهجمة الأخرى.. وأيضا يتلقاها الثعلب بحركة دفاع عن النفس متقنة.. وللمرة الثالثة تقذف «أوليفيا» بالأباجورة على الثعلب.. الذى يتفاداها فى

آخر لحظة.. ولم تعطه فرصة وهجمت عليه.. بحركة انقضاض مع لفة فى الهواء وبقدم ممدود لطشت الثعلب فى وجهه فبدأ يترنح.. ولكنه استجمع نفسه فى آخر لحظة من هجوم خاطف عليه وكال لها لكمة فى وجهها أسقطتها على الأرض.

ونظرت له وهى مكانها على الأرض وبدأت نظرة الشراسة تختفى.. وبالتدريج كادت تحل محلها نظرة الرغبة.. ولكن الثعلب لم يمهلها فاقترب منها ليمسك بها ولكنها هجمت وظلت تضرب فيه بيديها وامتنع هو نهائيا عن ضربها واحتمل حتى سيطر عليها.. ثم أمسك بكوب من الماء كان موجودا على المائدة ودفع بما به فى وجهها.. فعادت إلى رشدها.

تركها الثعلب وأعطى لها ظهرة.. فجلست هى على أقرب مقعد باستكانة.. أخرج الثعلب من جيبه ورقة هى شبه الاستمارة المطبوعة.. ودون أن ينظر لها وضعها على المائدة.. وبصوت أمر حازم:

ـ أوليفيا.. وقعى على قبولك التعاون مع المخابرات العامة المصرية.

فجأة بعد لحظة صمت.. تنطلق «أوليفيا» فى الضحك وكان ضحك الهزيمة الممتلئ بالمرارة.. ثم تتوقف عن الضحك وتقف وتتقدم إلى أمام الثعلب.. وتقف أمامه وبكل الاحترام له ثم تعتدل فى وقفتها وتمد يدها له مصافحة.

ـ أهينك..

وتكمل وبرجاء يقارب التوسل..

ـ بس أنا عندى اقتراح.. وأعتقد أنك مش حترفضه.. لأنه حيسهلك الوصول للى أنت عايزة وهنا ينهض الثعلب واقفا.. ويتقدم منها وبجيدة فيها عدم التراجع..

ـ أى طلب لك قبل توقعيك على إقرار التعاون مع المخابرات المصرية مرفوض.. وقعى الأول.. وبعدين اعرضى عليه اللى أنت عايزه.. وأنا لى حق الرفض أو القبول.

ـ طيب اسمعنى وارفض.. وأنا حوقع على طول.

ـ أوليفيا.. أنت عايزة مهلة للتفكير؟

ـ لو قلتلك أيوه.. مستوى ذكائك حيعرفك أنى كدابة.. لأن وسيلة سيطرتك اللى قدرت تاخذها على تعتبر قاضية ونهائية.. وأنت عارف كده كويس.. أنا بس عايزة أقدم اقتراح حينفعنى وحينفعك.

ـ معنى كده.. أنك مقتنعة أنك .. كده أو كده حتوقعى.. خلاص.. تبقى توقعى عشان أوافق أسمع اقتراحك.

تنظر له نظرة اليائسة ثم تسأله.

ـ أوكيه. أنا حوقع على اللى أنت عايزة.. وبعدين تسمعنى بس بحياد وفهم..

ـ موافق..

وتتقدم «أوليفيا» من مكان القرار.. وتوقع عليه.

انتهت «أوليفيا» من التوقيع وسلمت الورقة للثعلب.. ثم توجهت إلى حقيبتها وفتحت فيها جيبا سريا أخرجت منه ورقة توجهت بها إلى حيث يجلس الثعلب وقدمتها له.

ـ وقع أنت كمان على التعاون مع الموساد.

نظرالثعلب إلى ما قدمته له.. ثم نظر إليها وكانت نظرته حادة رغم نوبة الضحك الشديد التى انتابته إلا أنه عيونه الحادة كانت مركزة عليها..

ظلت «أوليفيا» واقفة أمامه تنظر إليه وليس على وجهها أى تعبير حتى توقف الثعلب عن الضحك.. وبجديد يسألها:

ـ أنت مصرة برضه على تجنيدى وأنت فى الموقف ده؟

أوليفيا وكأنها لم تسمع تعليقه الساخر هذا.. وتجلس أمامه وتبدأ فى الحديث..

ـ شوف يا «شوكت».. أنا لو كنت قدام حد غيرك فى الموقف ده ماكنتش طلبت منه الطلب ده.. ولأنى عارفة انى قدام عقلية حتستوعب اللى حقوله وحيعجبها.. ماكنتش قلت.. أنا حقول.. وعليك أنت تفكر.. عجبك كلامى.. حتوافق على تجنيدك تجنيد كامل.. معجبكش كلامى ارفض.

كان تفكير الثعلب قد سبق لسان «أوليفيا» فى الشرح.. وفهم ما تريد قوله ففاجأها به حتى يقنعها أكثر أنها أمام عقلية من الواجب احترامها:

ـ أنت عايزاه يبقى تجنيد متبادل.. تدينى معلومات.. فى مقابل معلومات منى..

ـ صح..

ـ تفتكرى .. لو أنت مطرحى تقبلى؟

ـ لازم أقبل لأن ده اللى لازم يحصل فعلا.. أنت دولوقتى جندتنى.. ووقعت لك بما يثبت تعاونى معاك.. وكمان إيصال باستلامى مبلغ من المال.. مش ده برضه اللى حتعمله معايا.

وكان الثعلب يجاريها:

ـ أيوه..

ثم بتساؤل منها مع تركيز نظراتها عليه :
ـ وبعدين..؟

يصمت الثعلب.. ليس مفكرا.. بل الحقيقة متعجبا.. أو نقول معجبا.. فهو أمام عقلية لا يستهان بها.. شعر الثعلب أنه مستمتع بمعركة الدهاء الدائرة بينهما الآن.. وطال صمت الثعلب فيما قالته مسبقا.. ولكنها تعتبر أنه مزنوق فى الرد فتلمع عيونها وهى تسأله:
ـ عرفت إن أنا صح.. بعد اللى حصل.. مش ممكن حترمى ورقة كسبانة فى أيديك.. أنت عايز تجندنى عشان تستفيد منى.. صح.

ويرد الثعلب:
ـ صح..
ـ أنا بأه حسألك سؤال:

إيه الوسيلة اللى حنقنع بيها الموساد بأنى مفيدة لهم عشان أستمر معاك وتستفيد منى أنت..؟
فكر كده.. حتلاقى أن أنسب وسيلة هى أنى أرجعلهم وأنا معايا مستندات تجنيدك.. وعشان كده بقولك إنك أنت كمان لازم توقعلى على الورق ده.

وتخرج من الجيب السرى بالحقيبة باقى الأوراق.. وكذا مظروفا أمسكته ووضعته أمام الثعلب قائلة:
ـ وآدى مبلغ ألفين دولار مكافأة التوقيع.

تنظر له مبتسمة وتسأله:
ـ فين بقية الأوراق عشان أوقعلك عليها.

ويخرج الثعلب من جيبه باقى الأوراق.. وكذا مظروفا يضعه أمامها

قائلا:

ـ وآدى مبلغ ألفين دولار مكافأة التوقيع.

ثم يتبادل الاثنان توقيع الأوراق..

وهنا نستمع لتعليق الثعلب كما قاله بكلمات لسانه:

«ولأول مرة فى العالم.. وفى تاريخ نظم المخابرات من أقدم العصور وحتى الآن.. أن يتم التجنيد بهذا الشكل.. فذلك لم يحدث ولن يحدث أبدا».

قامت «أوليفيا» وأحضرت كاميرا كبيرة من حقيبتها وصورت المستندات التى وقع عليها الثعلب.

ويسألها الثعلب عن سبب ذلك.. فتشرح له.. أنها ستأخذ الميكروفيلم وستضعه فى مظروف ستسلمه لشخص ما ليوصله إلى تل أبيب رأسا.. هذا هو الاتفاق.. ويجب أن يتم.. ويوافق الثعلب ويأمر بعدم التعرض لذلك الرسول «حامل الرسالة».

بعد أن سلمت «أوليفيا» المظروف للرجل الذى طلبته من هول الفندق عادت إلى الثعلب وعلى وجهها ابتسامة لذيذة.. وبدلال سألته..

ـ أما زالت دعوتك على العشاء قائمة؟

ـ أيوه..

وتستأذنه فى دخول الحمام لتجهيز نفسها.. فسمح لها.. ولكنها ظلت واقفة أمامه تتأمل فيه بنظرات كلها حب.. فاجأته بقبلة طبعتها على جبهته.. ولاحظ الثعلب لمعان الدموع المعلقة فى عينيها.. حيث أسرعت من أمامه إلى الحمام وأغلقته عليها.

وفى داخل الحمام.. أمسكت بسرعة بحقيبة الزينة.. وأخرجت منها العلبة الصغيرة التى بها كبسولة الموت.. وأسرعت بوضعها فى فمها.



وضعت «أوليفيا» حباية كبسولة الموت فى فمها وحاولت ابتلاعها .. ولكن يشاء الله أن تتوقف الكبسولة بعرضها فى حلقها فشعرت بالاختناق.. وبالرغم منها أصدرت صوتا وصل إلى الثعلب .. فتشكك .. ونهض .. وعندما اقترب من الحمام ازداد صوت الحشرجة وضوحا .. فاقتحم الحمام .. فوجدها تترنح وهى تختنق .. وتمسك زورها بيد.. ولاحظ الثعلب أنها تحرك يدها الأخرى بإشارات صلاة المسيحيين .

وبسرعة فهم الثعلب الوضع .. فصار يضربها بقبضة يده على ظهرها بقوة وبأصابعه التى أدخلها فى فمها أخرج كبسولة الموت من داخل حلقها .

استردت «أوليفيا» أنفاسها .. وفجأة هاجمت الثعلب وأخذت تضرب فيه بهستيرية وهى تبكى فهى غاضبة لإنقاذه إياها من الموت ولم يضربها الثعلب هذه المرة .. بل تحمل وظل يدفع بها حتى أخرجها من الحمام ..

وانهارت «أوليفيا» على أول مقعد أمامها وصارت تجهش بالبكاء .. وتركها الثعلب تخرج ما بداخلها .. حتى توقفت عن البكاء من تلقاء نفسها .. بعد أن سيطرت على نفسها .. ووقفت «أوليفيا» أمام الثعلب وهى تضع ابتسامة على شفتيها وبصوت هادئ فى شبه الاعتذار .. آسفة.. ثم قالت:

ـ لقد وعدتنى بعشاء .. فهل ما زالت دعوتك قائمة ؟ .

وبابتسامة الرضا يرد عليها الثعلب :
ـ أنا عند وعدى .. بس أنا عايز أقول حاجة .

لقد أراد الثعلب أن يجعلها تستقيم فى التعامل معه .. فطلب منها أن تستمع إليه جيدا .. لأنه سيوضح لها أمرا خافيا عليها .. فجلست «أوليفيا» مطيعة صامتة وبدأ الثعلب يتحدث ..

«أوليفيا» .. أولا .. أنا مقدر كويس الموقف اللى انت فيه واللى حاولتى تعمليه ده .. أنا ميزعلنيش .. بل العكس دلوقتى أنا زاد احترامى لكى .. بس اللى أحب أوضحه لك عشان ضميرك يستريح .. إننا إحنا الاثنين بنحارب فى قضية واحدة .. إنت بتمثلى الجانب المغتصب لأرض بلادى..

وهنا تقاطعه «أوليفيا» :
ـ دى بقت أرضنا ..
ويرد عليها الثعلب بثقة :
ـ الكلام ده غلط .. لأنها مش أرضك .. ولا أنت لكى دخل بالقضية دى خالص .. دى قضيتنا مع اليهود ..
ـ ما أنا :
وهنا يقاطعها الثعلب بحزم :
ـ أنت المسيحية هى دينك .. والإنجيل كتابك ..
ويظهر رد فعل غريب عليها .. بينما الثعلب مستمرا :
ـ كتابك بيقول .. « إذا ضربك أحدا على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » والمسيحية اللى هى دينك بينادى بالتسامح .. وليس العدوان والاغتصاب .. «أوليفيا» باندهاش مرتبك :
ـ أنا يهودية ..
ـ كدابة .. أنت مسيحية ..

ـ إيه دليلك ؟ ..

ـ لما دخلت عليكى الحمام وانت بتحاولى تنتحرى .. «يشير على صدره» كنتى بتشاورى إشارة المسيحيين .

وباندفاع تلقائى فيه الإعجاب ..

ـ ياه .. أنت قوى الملاحظة جدا .. ومبانش عليك لحظتها .

ـ لأنى عارف من الأول ..

ـ من الأول ؟ ..

ـ «أوليفيا» .. أحب أن أوضح لك شيئاً مهما .. أنا أعرف عنك كل ما تتصورين أنى لا أعرفه .. أعرف مثلا أنك ألمانية الأصل والمولد .. وقد جند والدك لصالح الموساد بعد أن أجريت له عملية غسيل مخ وزرع له فى رأسه عقدة الذنب على ما فعله الألمان باليهود .. وبالتالى قام الأب بوضع هذه العقدة فى عائلته .. وهى زوجته أى والدتك .. وابنته الصغيرة أى أنت..

وعندما كبرت وحاولت أن تتمردى على ما زرع فيكى .. وكان ذلك بعد زواجك من ذلك الجندى الألمانى الذى أنجبت منه «إنجى» ابنتك التى تبلغ من العمر عشر سنوات حاليا .. أخذوكى إلى إسرائيل .. بحجة دعوة للسياحة مع زوجك وابنتك ..

وفى تل أبيب .. أجريت عليك عملية تجنيد .. وقاموا بإغراء زوجك بتعيينه ضابطا بجيش الدفاع الإسرائيلى وبمرتب كبير وعينت أنت فى الموساد .. وكانوا دائما يهددونك بزوجك وابنتك وحقا أثبت جدارة فى عملك ومعلوماتى أنك من أكفأ العاملين بالمخابرات الإسرائيلية .. ونقلت لتكونى مساعدة لـ«حاييم كاروول» فى عملك الحالى ..

وبدهشة وانبهار تقاطعه :

ـ حتى «حاييم» عرفت اسمه الحقيقى ..

ويستكمل الثعلب حديثه :

ـ وأعرف كمان أن الموساد تعتبر ابنتك رهينة لديهم .. لذا .. من يأسك بعد الفشل الذى أصابك حاولت أن تقدمى على الانتحار .

كما أحب أعرفك حاجة مهمة .. إحنا هنا من ناحيتنا كمخابرات مصرية.. بنضع النواحى الإنسانية دى فى اعتبارنا .. حتى مع خصمنا .. ولا يمكن بأى شكل من الأشكال .. أو تحت أى ضغط من الضغوط أن نتسبب فى أى ضرر لتلك الطفلة .. وعليه فإنه يجب عليك أنت الأخرى أن تطمئنى لنا وتساعدينا لأقصى درجة وذلك حتى أنجز ما هو مطلوب منى فى أقصر وقت ممكن .. وأوعدك إننا حنحلك من التعامل معانا والارتباط بينا بعد الانتهاء من العملية دى .

انتهى حديث الثعلب الذى انطبع أثره على تعبير وجه «أوليفيا» بالرغم منها أنها لم تكن تتوقع أن المخابرات المصرية بمثل هذه الكفاءة .. والغريب أن بعد لحظة تبدل تعبير وجهها من الدهشة والانبهار .. إلى الطمأنينة وعلت الابتسامة شفتيها ثم أمسكت بتلك العلبة .. علبة السجائر المعدنية الموضوعة على المائدة أمامها .. وأخرجت الشريط وقامت بعملية مسح له.. وهنا وضح على وجهها قبول التعاون وبصدق ارتاح له الثعلب.. نظرت «أوليفيا» للثعلب وسألته :

ـ انت تعرف تمثل ؟ ..

ـ أمثل .. إيه المناسبة ؟ ..

ـ لازم تمثل معايا وأنا بجندك .. « تشير على الولاعة» لأن اللى كان متسجل هناماينفعش دلوقتى .. يكشفنا ..

ـ دلوقت بس اطمنت وحسيت إن العملية حتنجح .. لأنك كده فعلا اطمنت أن ولاءك ليه .. من لحظة كنت لسه مخونك وبدهشة نظرت له وسألته :

ـ يعنى انت كنت عارف إن هنا فيه تسجيل ..

ـ وساكت ومستنى أشوفك حتعملى إيه .

وبدهشة أكثر .

ـ اكتشفته إزاى ؟ .

ويشير الثعلب على كل الحجرة :

ـ لو بصيتى حواليكى مش حتلاقى أى حاجة من الإكسسوارات من نفس «النوعية» .. ولو دخلتى أى جناح تانى مشابه فى الفندق ده مش حتلاقى حاجة زى دى ..

وبمنتهى الإعجاب تصرخ «أوليفيا» :

ـ اوه .. فعلا أنت حاد الذكاء ..

ثم بشىء من المرح والدلال :

مستر «شوكت» .. «أوليفيا» حتموت من الجوع ..

وفى مطعم شيك .. مطل على نيل مصر .. كانت مائدة فى ركن مضاءة بالشموع .. وكانت «أوليفيا» متلذذة بما تتناوله من طعام وكانت أضواء الشمعة تتراقص على وجه «أوليفيا» فتزيدها جمالا على جمال ..

انتهت «أوليفيا» من طعامها .. فاشعل لها الثعلب سيجارتها وأخذت منها نفسا طويلا .. ثم نظرت إلى الثعلب وفاجأته بأنه لابد من سفرها غدا.. وأنها تحدثت مع الفندق ليحجز لها على طائرة الثالثة بعد الظهر .. ثم اعتدلت فى جلستها وواجهته :

ـ العميلة «أوليفيا» تحت أمرك يا «شوكت» .. تطلب منى إيه ؟ .

لقد فوجىء الثعلب بالسؤال .. لم يكن يتوقعه .. كان المفروض أن يبدأ هو .. لذا فقد تأخر قليلا فى الإجابة .. فتحدثت هى :

ـ أنا عارفة إنك ضرورى تكون اكتشفت حقيقة شركة تاور للملاحة

العالمية.. وعرفت أنها مركز من مراكز الموساد بالخارج وضرورى وصلك إنه بتعقد فيه اجتماعات بينا وبين الدول الصديقة المتعاونة معنا فى تبادل المعلومات .. واعتقد أنه يهمك أن ينقل لك ما يقال فى هذه الاجتماعات من معلومات ..

ويرد عليها الثعلب :

ـ حاليا لا تهمنى المعلومات بقدر ما يهمنى المكان .. ثانيا أنا عارف إن كل المعلومات معاكى .. يعنى محاضر كل الاجتماعات وما يقال فيها فى خزنتك .. وممكن اطلب منها صورة طبق الأصل منها وحتجبيها .. وده حيحصل .. إنما الاجتماعات اللى جايه عايز اسمعها بنفسى ..

وتشهق «أوليفيا» .. (قل حيرة .. قل فزع) :

ـ إزاى ؟ !!.. كده تبقى عايز تركب أجهزة فى قاعة الاجتماعات ..

ـ بالضبط كده ..

ـ مش ممكن يا «شوكت» ..

ـ ممكن .. ومتخافيش .. أنا من دلوقتى لازم أخاف عليكى أكثر من نفسى .. يا ترى عندك ثقة فيه .. وكمان أنا وعدتك إنى أحلك من ارتباطك بينا بعد انتهائى من العملية ..

وبعد لحظة تفكير تنظر له وبشبه ابتسامة :

ـ أوكيه .. يا شوكت .. بمكر بتعرف تاخذ كل اللى انت عايزه .

وغادرت «أوليفيا» القاهرة .. بعد أن تم الاتفاق بينها وبين الثعلب على موعد لقائه هناك بعد أسبوع من سفرها .. وذلك لتقديمه إلى «حاييم» على أنه مجند من قبل «أوليفيا» .. كما طلبت «أوليفيا» أن يتفقا على أقوال موحدة لما حدث بالقاهرة ففى رأيها إن «حاييم كارول» رجل مخابرات قديم وماكر.. ومن طباعه أنه يشك حتى فى نفسه .. وحذرت الثعلب بأنه سيقع حتما تحت طائلة اختباراته .



أرسل «حاييم» إلى المركز الرئيسى للموساد بوصول «أوليفيا» وكذا بالموعد الذى سيصل فيه العميل الجديد الذى أطلق عليه «العميل ١١١» وطلب من رئاسته موافاته بمطالبها من العميل الجديد ..

صدر تلكس من شركة جبران للملاحة إلى شركة تاور للملاحة العالمية يبلغ بموعد وصول مستر «شوكت فهمى» .. وفى موعد الوصول.. كانت «أوليفيا» بانتظار «شوكت فهمى» بالمطار .. كما كان هناك طاقم من أفراد المخابرات المصرية فى انتظار الثعلب .

وصلت الطائرة .. واستقبلته «أوليفيا» .. وكان استقبالها حافلا.. فقد استقبلته بالأحضان وبالقبلات .. وكان فى دقائق معدودة خارج المطار .. ويستقل تلك السيارة الشيك .. وبجواره «أوليفيا» .

كانت السيارة التى بها الثعلب تنطلق مسرعة فى طريق المطار .. وحتى لم تخفف من سرعتها عند دخولها شوارع المدينة وفجأة شعر الثعلب بظلام دامس .. فقد خرج زجاج أسود أتوماتيكى غطى على زجاج السيارة السامح بالرؤية .. وعندما اندهش الثعلب لذلك .. اعتذرت له «أوليفيا» أنها إجراءات أمن فهى ستذهب به إلى أحد الأماكن السرية لهم ..

وبمكر لم يعترض الثعلب.. بل صمت.. ولكنه أظهر بعض ضيقه .. وصارت «أوليفيا» تعتذر له.. ثم ابتسم وقبل اعتذارها . ولكن بابتسامة ماكرة ..

دخلت السيارة مكانا ما.. وبعد قليل توقفت .. وهبط منها الثعلب فوجد نفسه في حديقة لفيلا صغيرة ولكنها جميلة وواضح على أنها شاطىء البحر في مكان هادئ .

دخلا سويا الفيلا .. وكانت مؤثثة بأثاث فاخر .. وبها كل الإمكانيات وبعد أن استعرضتها معه «أوليفيا» .. عرفته أن تلك الفيلا مخصصة لتلقى تدريبه على أعمال التجسس الأولية التى ستستغرق ثلاثة أيام .. ثم عرفته على مديرة المنزل التى ستكون فى خدمته ومرافقة دائمة له .. وكانت فتاة تناهز العشرين من العمر جمالها من النوع الهادئ ..

أما الطباخة المسئولة عن إطعامه فقد كانت فتاة زنجية ولكنها توصف بالجمال المثير أيضاً وهى تناهز الثلاثين .. ورجت «أوليفيا» الثعلب أن لا يحاول الخروج حتى لا يعرض نفسه لمعارضة الحراس .. أو لشراسة ذلك الكلب المتوحش الذى لا يهاجم إلا من يحاول الخروج من ذلك المكان .

ابدى الثعلب رغبته فى الراحة .. فأبلغته «أوليفيا» إنها ستنصرف .. وستتركه يستريح اليوم .. على أن تحضر له فى اليوم التالى لتبدأ معه التدريب ..

انصرفت «أوليفيا» .. وأخذ الثعلب حمامه فى جناح نومه فشعر بالنشاط يدب إليه مرة أخرى .. فهبط إلى الهول .. واختار ركنا بجوار نافذة تطل على البحر وجلس يتأمله ..

شعر الثعلب بحركة فنظر فوجد الفتاة «لولا» مديرة المنزل تقف أمامه بابتسامة حلوة مغرية تسأله عن طلباته .. فطلب منها فنجانا من القهوة التركى .. وقبل أن تنصرف حاولت أن يفهم منها أنها هنا فى خدمته فى أى شىء يطلبه .

طلب الثعلب من «سالومى» أن تأتى له بذلك الكلب الجميل ليتسلى بمداعبته فهو يحب الكلاب .. وأحضرت له الكلب وظل الثعلب يداعبه.. وبعد فترة تجاوب الكلب مع مداعبات الثعلب .. وظن الثعلب أنهما قد أصبحا أصدقاء ولكن الكلب «جاك» زمجر بشدة عندما حاول الثعلب الخروج من باب الفيلا الداخلى ..

وعاد الثعلب إلى مداعبته واستبقاه بجانبه .. وطلب العشاء .. وأثناء تناوله للعشاء .. كان يقدم للكلب قطع اللحم فازدادت الصداقة بينهما .. وبعد استراحة قصيرة .. صعد إلى حجرة النوم .. ولم ينس قبل صعوده إلى جناح النوم أن يطلب من «لولا» منوم .. فهو لا ينام إلا به ..

واحضرت له لولا حباية منوم .. وتناولها أمامها وصعد إلى حجرته .. كان الثعلب قد أجرى معاينة دقيقة للفيلا .. وحدد بها أماكن أجهزة الاستماع.. وأماكن أجهزة التصوير .. وأيضا حدد زوايا عدم رؤية عدسات التصوير ..

وبعد ساعة من صعوده إلى حجرة النوم .. نهض الثعلب من الفراش .. وارتدى ملابسه وأمسك بحقيبته .. وهبط إلى الهول متفاديا عدسات التصوير .. وفى نهاية السلم التقى الثعلب بالكلب .

وترك الحقيبة ووقف يداعبه .. وكان يمسك بفمه ويفتحه ويضع يده بداخله .. حتى تعود الكلب على تلك الحركة .. فأسقط فى بلعومه الحباية المنومة التى مثل الثعلب أنه ابتلعها أمام «لولا» .. فابتلعها الكلب.. ثم ذهب فى نوم عميق .

ومن مكان خفى خلف الحديقة .. تسلق الثعلب ذلك السور .. وفى لحظات كان هو وحقيبته خارج الفيلا .. وسار قليلا حتى وصل إلى

الطريق الرئيسى .. ومن هناك .. وقف يشير بإشارة «الأوتوستب» وكان يلحق بها إشارة مرئية أخرى .. فظهرت أضواء سيارة من بعيد اقتربت من الثعلب .. وتوقفت أمامه .. وكان يقودها شخص أجنبى ما أن استقر الثعلب بجواره حتى نطق باللغة العربية العامية :

ـ مساء الخير يا افندم .

ـ مساء النور يا مكرم .. كويس أنكم معايا .

ـ الحقيقة كانت مفاجأة إنى أشوف سيادتك وانت بتنط السور .. مكنتش متوقع ..

ـ أنا اتصرفت وأنا عارف إنى معايا ولاد صاحيه ..

ـ نفسى اسأل سؤالا .. بس خايف ـ لأنى عارف إنى المفروض ما أسألش .

ـ عايز تسأل أنا عملت كده ليه ..

ـ صح يا افندم ..

ـ *عشان ميتعودوش السيطرة علىّ .. لازم يعرفوا إنى عميل من نوع خاص..*

كانا قد وصلا إلى مدخل المدينة .. فيسأله الشاب الذى يقود السيارة:

ـ ودلوقتى على فين يا افندم .

ـ على نفس الفندق اللى كنت نازل فيه المرة اللى فاتت .

وأمام موظف الاستقبال الخاص بالفندق .. طلب الثعلب أن يقيم فى نفس الجناح الذى كان يقيم به المرة السابقة .. وهذه الليلة نام الثعلب ليلته حرا دون أى مراقب عليه .

فى صباح اليوم التالى .. كانت الدنيا مقلوبة .. فقد اكتشف فرار الثعلب من «المنزل الأمين» وكان «حاييم» فى مكتبه فى غاية التوتر ..

وكانت «أوليفيا» فى الفيلا فى غاية العصبية .. أما الثعلب .. فقد كان يعرف أن هناك موعدا لحضور «أوليفيا» إلى الفيلا لتبدأ معه تدريباته ..

ووصل الثعلب إلى مكان تدريبه وهى الفيلا فى الموعد الذى حددته «أوليفيا» لقد حضر فى سيارة أجرة ولكن دون حقيبة ملابسه وما كاد يراه الحارس يهبط من السيارة الأجرة .. حتى رفع سماعة تليفون موصل للداخل وأبلغ «أوليفيا» بقدومه .. ويمر الثعلب من البوابة مترجلا .. وهو يحى الحارس الذى كان ينظر إليه بغيظ وامتعاض .

وفى الهول .. كانت «أوليفيا» فى انتظاره .. وكان واضحا توترها وعصبيتها ولكنها كانت تحاول أن تتماسك .. وألقى عليها الثعلب تحية الصباح .. ولفت نظره إلى الكلب مازال نائما .

فأشار إليه بسخرية وهو يجلس على مقعد مريح:
ـ هو لسه نايم .. ؟

والحق يقال كانت طريقة الثعلب الهادئة جدا تبعث على أحد ردى فعل.. أما غيظ وثورة عارمة .. أو ضحك .. فحقا كان الثعلب خفيف الظل بنظراته التى وضع فيها كل البراءة وكأنه لم يفعل شيئاً ..

أما «أوليفيا» .. فإنها لم تملك نفسها من الضحك .. وجلست بجانبه.. وبابتسامة سألته :
ـ ايه اللى انت عملته ده ..
ـ أصل أنا الحقيقة باستريح أكثر فى الأوتيل .. يشير حوله ضرورى انتم حطين هنا مرايات من اللى بتشوف اللى وراها .. ولقيت نفسى حبقى مقيد فى حريتى .. متشاف من كل حته .. مقدرتش استحمل .. خرجت وروحت الأوتيل ..

ـ أى أوتيل .
ـ اللى كنت فيه المرة اللى فاتت .. وتصورى بالصدفة لقيت نفس الجناح فاضى .

سمعت «أوليفيا» ذلك فاستراحت .. واستراح أيضا الثعلب .. فقد أمر «حاييم» ألا يجبر على الإقامة فى الفيلا .. كان على الجانب الآخر أن يتأكد من ولاء العميل الجديد لهم .. وذلك لن يتأتى إلا عن صحة معلومات يدلى بها لهم .. ولديهم هم الأجوبة الصحيحة .

وحاولت «أوليفيا» أن تبدأ جلسات العمل معه .. وكانت البداية أن أبلغت الثعلب أنه سيجيبها على عدة أسئلة خاصة بعمله السابق .. وسحبته إلى ركن من الهول به مقعدين .. جلست على أحدهما فاضطر الثعلب أن يجلس على الآخر .. وبدأت «أوليفيا» ..
ـ ما هى أهم الأحداث التى وقعت فى العام الماضى بمصر وعلمت بها بحكم وضعك الوظيفى بهيئة ميناء الإسكندرية ..

وبعد نظرة مركزة لها .. وغمزة من عينيه .. مد الثعلب يده إلى قاعدة المقعد الذى يجلس عليه وأخرج كبسولة الاستماع وقربها من فمه وبدأ يرد ..
ـ الأحداث ..
وتفاجئ «أوليفيا» وتقاطعه :
ـ إيه ده .
ـ ده الميكروفون اللى انتم حطينه .
وبشبه غضب مفتعل وبثورة :
ـ وأرجوكى قولى للجماعة بتوعك إنهم بيتعاملوا مع ضابط يعنى فاهم

الحركات دى كويس .. فأرجوكم يتعاملوا معايا بثقة .. يا مفيش داعى للتعامل واعملوا اللى انتم عايزينه .

وتحاول «أوليفيا» أن تخفف من عصبيته :

ـ طيب انت عايز إيه ؟ ..

ـ التعامل معايا يكون عادى جدا .. شوفوا أنتم عايزين إيه وانا حجاوبكم عليه ..

وفعلا كانت أسألتهم منصبة على عمله السابق كضابط بحرى ثم عمله بهيئة ميناء الإسكندرية .. وكذا بعض الأسئلة السياسية التى تمكن الثعلب من الإجابة عليها .. وهى فى الحقيقة فيها التمويه والخداع المطلوب ..

أرسلت أجوبة الثعلب إلى المركز الرئيسى للموساد لاسلكيا ووصل الرد إلى «حاييم» إنها كلها اجابات صحيحة مية فى المية ..

وأصر الثعلب أن يأخذ مكافأة المعلومات وهى الثلاث آلاف دولار وتكرر الحصول على معلومات من الثعلب .. مرة خارج الفيلا .. ومرة بداخلها.. ومرات أثناء التمشية على البحر وفى كل مرة كان يبلغهم بمعلومات صحيحة وبجانب ذلك كانت «أوليفيا» تقوم بتدريبه ..

ظل الثعلب طوال الفترة الأولى التى استغرقت ثلاثة أيام لا يتحدث مع «أوليفيا» عن شيء .. لم يتعامل معها كعميلة له كان غرضه من ذلك أن يزرع كامل الثقة والاطمئنان له .. وفى نفس الوقت .. كان يريد أن يطمئن من ولاء «أوليفيا» لما وقعت عليه فكان الثعلب طوال تلك الفترة تاركا نفسه لهم تماما ..

وبعد أن اطمأن الثعلب لاكتساب ثقتهم .. ووثق هو أكثر فى «أوليفيا» .. بدأت احتياجاته منها .. فانتهز فرصة تجولهما على شاطئ

البحر.. وبدأ معها أول لقاء بينهما كعميلة له .. وأفضل أن نسمع سويا حوار ذلك اللقاء كما سمعته أنا من الثعلب وكأنه شريط تسجيل .. فقد كان الثعلب يسجل لها وكان ذلك الشريط ملحقا بالملفات .

ـ متى سيكون الاجتماع القادم لمخابرات الدول المتعاونة مع الموساد .

ـ أنا كنت حقولك .. فيه اجتماع بكره ..

ـ كم عدد الاجتماعات التى تمت بينكم وبين قيادات مخابرات الدول الصديقة .. فى قاعة الاجتماعات تلك؟ .

ـ هى عدد كبير من الاجتماعات .. دى اجتماعات أحيانا تكون شهرية وأحيانا تنشط فتكون أسبوعية . وأحيانا تتم اجتماعات طوارئ .

ـ هل يمكنك حصرها .. وإبلاغى بعددها ؟!.

ـ ممكن .. وتواريخها كمان ..

ـ بسهولة ..

ـ بسهولة جدا ..

ـ ما هى طريقة حفظك لمحاضر تلك الجلسات ؟ .

ـ كل المحاضر مسجلة على «الهارد دسك» بتاع الكمبيوتر .

ـ ما هى وسيلة التأمين على تلك المحاضر؟ .

ـ كلمة سر أعرفها أنا بس ولا يفتح «الهارد دسك» على المحاضر إلا إذا أديتها للكمبيوتر .

ـ يا ترى محتاجة لوقت كتير عشان تجيبلى نسخة طبق الأصل من المحاضر دى من يوم ما بدأت الاجتماعات .

ـ الكمبيوتر بيسهل كل شيء .. مجرد أعمل كوبى على دسكات .

ـ أقدر آخذ ده إمتى .. بكره .

ـ أوكيه .

ـ أما بخصوص اجتماع بكره .. فياريت يكون معاكى صورة من محضر الاجتماع عشان اطلع عليها ..



حضرت «أوليفيا» إلى الثعلب فى اليوم التالى ومعها ما طلبه منها . وكان عبارة عن عدد عشرة « دسكات كمبيوتر» أيضاً وكما طلب منها صورة من محضر اجتماع الأخير .

لقد طارت تلك الدسكات مع محضر آخر جلسة إلى القاهرة حيث كانت اللجنة مجتمعة منذ أن وصلت تلك الإشارة .. عدا رئيسها المشير «أحمد إسماعيل» الذى كان منتظر النتيجة فى مكتبه على أحر من الجمر..

واستطاع أحد خبراء الكمبيوتر بالمخابرات العامة من إظهار تقارير محاضر تلك الاجتماعات على شاشة المونيتور واختير عدد من أكفأ الرجال فى عملية التلخيص .. وأغلقت عليهم قاعة .. حيث عمل كل منهم فى تلخيص عدد من المحاضر .. ثم جمع كل ذلك فى تقرير مركز يحوى على أهم ما أثير فى اجتماعات الموساد مع مخابرات الدول الصديقة لها عن مصر وأيضا الدول العربية ..

أخذ المشير رئيس المخابرات العامة ذلك الملخص وانطلق به إلى مكتب الرئيس السادات .. الذى كان متشوقا لذلك التقرير .. حيث عكف على قراءته بعمق وتركيز .. وبعد أن انتهى والقول هنا لأحد أعضاء اللجنة من الذين استمعت إليهم لأكتب ذلك الموضوع .. وقوله هذا كان عن المشير أحمد إسماعيل عندما عاد من لقاء الرئيس واجتمع بأعضاء اللجنة حيث قال :

« إن السيد الرئيس عندما انتهى من قراءة التقرير نظر الرئيس إلى السماء وحمد الله أولا .. ثم قال بالحرف الواحد «عمار يا مصر طول ما فيكي رجال أمثال من تمكنوا من الوصول إلى ذلك الكنز من المعلومات .. ولحظتها أشار الرئيس على أوراق التقرير التى كانت بين يديه .. ثم نظر الرئيس السادات إلى المشير بابتسامة كلها سعادة وقال : يا أحمد أنا طلبت من ولادك معلومات من بق أصحابها .. يعنى طلبت المستحيل وهنا يرفع التقرير فى يده ويقول .. واهو المستحيل بين ايديه عقبال ما يحطولى الكرسى اللى حقعد عليه فى اجتماعات الناس دول عشان اسمع بنفسى أول بأول كل اللى بيقولوه .

الثعلب مع «أوليفيا» .. فى لقاء لهما كانا يتناقشان فيه عن كيفية دخوله قاعة الاجتماعات لتركيب الأجهزة .. وكانت «أوليفيا» تخشى تلك المهمة وتخافها .. فقسمها الثعلب إلى مراحل :

المرحلة الأولى منها : هى تسليمه رسما تفصيليا لتلك القاعة .. مع تحديد الأماكن الموجود بها أجهزة التسجيل والتصوير .. وكذا أجهزة الإنذار المركبة وأماكنها .. أيضاً طلب منها تحديد ألوان الجدران .. ونوعيتها إذا كانت مبان وبياض أو خشبية .. أو مغطاة بورق .. ولونه .. وأيضاً الأثاث من مقاعد ومائدة اجتماعات وخلافه .. أى طلب كل وأدق التفاصيل .. وعندما سألته عن المرحلة الثانية .. أجابها بأنها مرحلة دخوله هو إلى المكان لمشاهدته بنفسه .. وعليها أن تسهل له تلك المهمة .

وهنا بدأ الخوف على وجهها مرة أخرى .. فتلك القاعة لا تفتح إلا بمفتاحين أحدهما معها .. والآخر مع حارس الأمن «آدم» .. فاقترح عليها تجنيد حارس الأمن .. ولكنها رفضت بشدة فالحارس لن يتقبل التجنيد .. إن ولاءه لـ«حاييم» فقط .. ونصحته بعدم الاقتراب منه ..

وعندما لاحظ الثعلب زيادة مظاهر الخوف على وجهها .. طمأنها أن وقت المرحلة الثانية لم يحن بعد وعليها أن تنتهى من المرحلة الأولى أولا..

وترسم «أوليفيا» قاعة الاجتماعات .. رسما كاملا ممتازا وبكل الدقة .. وبه كل التفصيلات .. ويرضى عنه الثعلب .. وقام الثعلب بإرسال ذلك الرسم إلى القاهرة .

أصبحت «أوليفيا» تعمل مع الثعلب عن اقتناع .. فقد استطاع الثعلب وهو فى طريق سحب المعلومات منها أن يغير ولاءها بطريقة غير مباشرة .. بما يجعلها تضرب بولائها المصنوع لإسرائيل عرض الحائط .. فهو ولاء تحت ضغط وتهديد بابنتها وزوجها .. لقد كسر الثعلب ولاءها للموساد.. وكان ذلك يعتبر شيئاً هاما جدا لدى الثعلب ..

فى نفس الوقت كان الثعلب قد أجابها على عدد من أسئلة الموساد عن طريقها وذلك عن الموقف العسكرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى المصرى .. وطبعا كانت تلك الإجابات مدروسة ومجهزة ومسموحا للثعلب أن يتعامل بها معهم .. ويبدو أن تلك المعلومات التى أبلغ بها الثعلب قد أبهرت قيادة الموساد .. وبالتالى فقد عادوا بشكرهم على «أوليفيا» .. وفى ذلك ما يطمئنها .. كما قررت الموساد أيضاً رفع معنويات الثعلب وشكره على تعاونه معهم .. أيضاً كان لابد من مكافأته بما اتفق عليه على حسب درجة سرية المعلومات .. والحق أنها كانت جميعها بدرجة سرى للغاية فاضيف على المكافأة المتفق عليها ضعفها نظرا لإثبات ولائه لهم بتسليمهم معلومات هامة وصحيحة كما خيل لهم.

وبناء على ما سبق .. حدث ما لم يكن فى حسبان الثعلب فقد تبرعوا هم بأنفسهم بتنفيذ المرحلة الثانية من المهمة .. والتى كانت تخشاها

«أوليفيا» وتعمل ألف حساب لليوم الذى سيطالبها الثعلب بتنفيذها .. أما ما حدث .. فقد كان شيئاً من عند الله .. وإليكم تفصيلا له .

فقد طلب «حاييم» من «أوليفيا» تحديد موعد للقاء الثعلب شخصيا معه.. فأبلغت «أوليفيا» الثعلب بالموعد .. وكان مكان اللقاء وهو مقر الشركة ..

ويبدو إن الله قد استجاب لدعاء الثعلب .. فى اليوم التالى اصطحبت «أوليفيا» الثعلب إلى مقر الشركة واستقبل «حاييم» الثعلب فى مكتبه بحفاوة بالغة .. وبدأ «حاييم» حديثه مع الثعلب .. أبلغه بترحيب الموساد به.. والثناء على مجهوده وإخلاصه فى التعاون معهم .. ثم أخرج من جيبه مظروفا ذكر إن به نقد ثمنا للمعلومات التى أحضرها وأبلغها لـ«أوليفيا» .. ومبلغ آخر ضعفه .. كمكافأة من الموساد لإثبات رضائها على التعاون بينهما ..

ثم تحدث مع الثعلب عن إسناد بعض أعمال الملاحة لشركة جبران التى يرأسها الأخير .. والتى سيعود عائدها بالنفع على مساهمى الشركة .. وأيضاً سيفيد ذلك فى تغطية سفر الثعلب المتكرر .

وبعد ذلك كان الأهم .. لقد طلب «حاييم» من الثعلب أن يكتب له ما يعرفه أو ما وصل إلى سمعه من معلومات .. عن استعداد الرئيس السادات للحرب ولم ينس «حاييم» أن يقنع الثعلب بمكر أنهم يريدون تلك المعلومات مسبقة لكى يتمكنوا من إيقاف أى خطوة يقدم عليها «السادات» من خطوات الحرب .. فهم يعرفون إنه واقع تحت ضغط الدخول فى حرب معهم .. وهذا ليس لصالح الشعب المصرى .. وهم بالتالى ما يطلبون تلك المعلومات إلا لصالح الشعب المصرى .. فلو اندفع السادات تحت الضغوط وبدأ يتحرك .. هنا يكون لديهم ما يتمكنون به من

إيقافه قبل أن تصبح حربا .. فى الحقيقة إسرائيل مستعدة لها .. أما مصر فستكون النكسة الثانية لها .. وهذه المرة لن تتحملها .. ولن تقوم لها قائمة بعدها .

لقد تمكن الثعلب ببراعة أثناء حديث «حاييم» معه من رسم ردود فعل على وجهه تثبت للأخير أنه مقتنع بما يقوله اقتناعا تاما بل هو يشكرهم على خوفهم على مصر وشعب مصر .

طلب «حاييم» من «أوليفيا» أن تصطحب الثعلب إلى قاعة الاجتماعات ليختلى هناك بنفسه ليكتب ذلك التقرير الذى طلبه منه ..

ويخرج الثعلب بمصاحبة «أوليفيا» من مكتب «حاييم» .. حيث سلكت به طريقا يمر عبر ممرات ضيقة .. واعتذرت للثعلب عن ذلك لوجود بعض الاصلاحات فى الطريق العادى .. ووصلا إلى باب كبير .. حيث انفتح على قاعة فخمة فسيحة .. ومائدة اجتماع كبيرة تحيط بها المقاعد الفخمة .. وتأملها الثعلب فى أول دخوله .. فلاحظ أنها صورة طبق الأصل للرسم الذى استلمه من «أوليفيا» .. وتستأذن «أوليفيا» الثعلب فى تركة بمفرده ليكتب ذلك التقرير بالمعلومات التى طلبها منه «حاييم» ..

كان الثعلب من الفطنة .. رغم أنها فرصته وهو بمفرده فى القاعة لكى يتجول بها ويفحصها أكثر .. إلا أنه ظل مكانه يكتب التقرير حتى انتهى منه ولو كان فعل لكان شوهد على شاشات المونيترات التى كان يراقب من خلالها وبعد أن انتهى الثعلب من التقرير .. نهض وبطريقة طبيعية إلى تليفون بالقاعة ورفع السماع .. وعندما سمع من يسأله عن طلبه .. طلب مستر حاييم ..

بعد لحظات .. كان «حاييم» و«أوليفيا» لديه بالقاعة .. واستلم منه

«حاييم» التقرير ولكنه طلب منه عدم الانصراف حاليا وذلك لأسباب قهرية.. واستأذنه وترك معه «أوليفيا» .

أصبحت «أوليفيا» مع الثعلب بمفردهما فى القاعة .. ويبدو أن قربها من الثعلب يشعل فيها بعض رومانسيتها .. فصرحت له أنها ستفتقده طوال مدة سفره .. وتعامل معها الثعلب كجنتلمان وقال ما يفهم منه:

إنه شعر بنفس شعورها .. وأيضاً كان الثعلب يريد أن ينفرد بها فى لقاء.. حتى يرتب معها كيفية الدخول إلى القاعة .. فأبدى رغبته فى أن يدعوها على الغداء فى مكان جميل وسرعان ما وافقت «أوليفيا» بسعادة .

كان «حاييم» يستمع إليهم من مكتبه ويشاهدهما .. وكان أيضاً سعيدا فهو يعتقد أن ذلك لمصلحة العمل .. فقرب «أوليفيا» من الثعلب لأكثر وقت ممكن يساعد على قوة ارتباطه بهم .. خاصة وأن «شوكت فهمى» أصبح يعامل كعميل فوق العادة .. فمعلوماته التى يمدهم بها صادقة وخطيرة ..

انتظر الثعلب طويلا فى تلك القاعة .. وسأل «أوليفيا» عن سبب ذلك.. وقبل أن ترد «أوليفيا» عليه .. انطلق جرس التليفون فأسرعت إليه.. واستمعت .. ثم وضعت السماعة وعادت إلى الثعلب وأبلغته أنه من الممكن أن ينصرفا الآن ..

خرجت «أوليفيا» بالثعلب من القاعة من نفس الباب .. وسارت معه فى تلك الممرات الضيقة .. واعتذرت للثعلب لحجزه تلك المدة .. ولما سألها الثعلب عن السبب .. قالت له وهى تشير على فتحات تغطى بما يشبه أبوابا من الحديد المصفح:..

إنهم عمال المجارى .. كانوا يقومون ببعض الإصلاحات وكان من المهم أن لا يراك أحد منهم ..

وفى ذلك المطعم .. حيث كانت «أوليفيا» تتناول الغداء مع الثعلب ..

صرحت له قائلة وهى تضحك .. لقد شعرت للحظات بالشك فى أنك منهم ومعهم .. وأنك مدفوع علىّ لاختبار ولائى لهم .. وخفت منك .. فقد كان تعبير وجهك يؤكد صدق إحساسك بما كان يقوله «حاييم» .. وهنا سألها الثعلب : وهل ذلك الشك مازال موجودا بداخلك .. فاجابت بأنها لن تستطيع أن تنكر ذلك ولكن ما حدث قد حدث .. بقى أن تثبت الأيام عكس ما تخشاه ..

ولم يتركها الثعلب إلا بعد أن استطاع إقناع «أوليفيا» تماما بأنه عكس ما تخشاه فاطمأنت .. لأنه كان من المستحيل أن يتركها وهى بهذا الشعور.. كان من الممكن أن تتهور وتقدم على شيء يبعده عن أمنيته .. أو أمنية زعيمه المنتظرها على أحر من الجمر .. نقول إنه لم يتركها إلا بعد أن وجد بها اقتناع تام .

لقد صرحت له «أوليفيا» بما يريحه .. فقد ذكرت وبكل الشجاعة .. أنها اقتنعت بكل كلمة قالها لها عن الإسرائيليين فقد ظلت هى ووالدها وزوجها تحت ضغطهم طوال سنين عمرهم .. ويكفى أن ابنتها تعتبر رهينة لديهم .. هى حتى لا تستطيع أن تصطحب ابنتها فى سفر لخارج إسرائيل .. فلابد وأن يكون اثنان منهما موجودين داخل اسرائيل .. فإذا ارسلت ابنتها فى رحلة خارج البلاد .. فلابد أن تمون «أوليفيا» وزوجها داخل إسرائيل .

كان الثعلب من النوع الذى يعمل حسابا لكل شيء .. لذا فقد قرر الثعلب أن لا يفقد اتصاله ب«أوليفيا» تحت أى ظروف .. فقرر وعلى سبيل الاحتياط أن يعطى لـ«أوليفيا» عنوان مراسلات على إحدى الدول .. وكذا أسلوب شفرة معين .. بحيث تراسله على ذلك العنوان .. ذلك لو حدث شئ يفرق بينهما .. وفى نهاية اللقاء طلب منها أن تفكر معه فى

طريقة يسرع بها فى تنفيذ مهمته .. ثم أكد وعده لها وكرره عليها إنه بعد تنفيذ المطلوب .. سيعطى لها الحرية .. بأن يتركها بعد ذلك لحالها ..

هنا استوقفته «أوليفيا» .. فقد ذكرت له أنها كانت ستطلب منه غير ذلك أنها تطلب منه أن يتحدث مع رئاسته عن رغبتها فى أن يساعدوها على لم شمل أسرتها هى وابنتها وزوجها ليعيشوا باقى حياتهم فى أمان مصر ..

اقترب موعد سفر الثعلب .. وكان عليه أن يقوم بشىء هام جدا .. كان عليه أن يعمل على استئجار فيلا أو شقة يكون موقعها قريبا بشكل ما من مبنى شركة تاور العالمية للملاحة .. وكلف الثعلب أحد زملائه هناك بذلك .. كما كلفه أيضاً بعمل دراسة معينة ستفيده فى وضع خطة دخوله للقاعة .. على أن يرسلها له فى القاهرة .

ويصل الثعلب لمصر .. ويفضى للجنة بكل كبيرة وصغيرة حدثت وارجأ مناقشة طلب «أوليفيا» اللجوء إلى مصر هى وابنتها وزوجها .. وتمت مناقشات عدة فى الخطوة الثالثة .. فقد أنجز الثعلب حاليا مرحلتين الأولى وهو الرسم الذى حصل عليه من «أوليفيا» والحق أنه بعد أن شاهد بنفسه تأكد أن «أوليفيا» لم تنقص أو تخفى شيئاً .. ثانيا أنه دخل بنفسه إلى داخل ذلك الحصن .. بقيت بعد ذلك المرحلة الثالثة .. وهى المرحلة قبل الأخيرة .. والتى وافقت عليها اللجنة .

وكانت المرحلة الثالثة هى بمثابة اقتراح من الثعلب بأن يبنى نموذجا مجسما بشكل ومساحة المبنى الحقيقى وبالشوارع المحيطة به .. وأيضاً ديكورا يمثل صورة طبق الأصل لقاعة الاجتماعات بكل ما بها وبنفس ألوانها وحوائطها وأثاثها على أن يكون ذلك النموذج «ديكور» المطابق للحقيقة هو ميدان تدريب للأفراد الفنيين الذين سيقومون بالعملية تحت قيادته .. وحتى يعملوا عندما يصلوا إلى المكان الأساسى دون الشعور بغربة..



بدأ العمل فى تشييد النموذج المجسم فى مكان خال بداخل مبنى المخابرات العامة وأشرف الثعلب على إنشائه مع عدد من المهندسين المتخصصين من أبناء المخابرات أيضاً .. وتأكد الثعلب بنفسه من دقة التنفيذ كما تأكد من أن قاعة الاجتماعات على نفس المواصفات بل هى صورة طبق الأصل من القاعة هناك .

وبدأ الثعلب مع الرجال السبعة الذى اختارهم .. حيث اجتمع بهم وذكر لهم أنه تم تحديد طريقة الدخول التى سيقوم هو بتذليلها لهم .. ولذا سيفترض أنهم دخلوا فعلا .. وأنهم وصلوا إلى تلك القاعة وهى الغرض المطلوب العمل به .

وبدأ الثعلب يشرح لهم العملية .. فالمطلوب بإيجاز هو ..

التدريب على تلافى الدوائر المخفية لشراك الإنذار المتعددة .. من أول دخولهم المبنى .. وحتى وصولهم إلى القاعة .

تركيب أجهزة التسجيل .. والعمل على إخفائها بحيث لا يمكن لأى خبير اكتشافها .

تقسيم العمل بين الأفراد بحيث يعمل الكل فى وقت واحد أو الواحد تلو الآخر .. أى يقوم كل فرد بواجبه .. وينتهى فيكمل آخر بعده حسب تخصصه وينتهى .. ويستكمل ثالث العمل حتى نهايته مثلا .. وأخيرا

طلب منهم الثعلب أن يظلوا يتدربون حتى يصلوا إلى رقم قياسى فى سرعة إنجاز العملية .

وفعلا بدأ هذا الفريق التدريب الشاق المضنى .. وكانوا فى كل مرة يسجلون الزمن حتى توصلوا إلى أعلى كفاءة وسرعة فى الإنجاز .. لدرجة أنه أجرى بيانا عمليا للعملية أمام المشير «أحمد إسماعيل» رئيس المخابرات العامة .. وكان تعليقه يعتبر وساما لأفراد ذلك الفريق .. فقد علق المشير قائلا: إنه شاهدهم وكأنهم فريق من الأطباء يقومون بإجراء عملية خطيرة فتحوا فيها بطن انسان وعملوا بها ثم أغلقوها مرة أخرى ولم يتركوا أثرا بعد إجراء جراحة التجميل عليها حتى عادت البطن كما هى .

بعد أن وصل فريق العمل إلى هذا المستوى .. وأصبح جاهزا للعملية .. فكر الثعلب فى شيء ما ظل يقلقه .. لقد تمرن الفريق على زرع أجهزة الاستماع .. ماذا لو تعطلت يوما لأى سبب من الأسباب .. أتتوقف العملية بعد كل ذلك الجهد .. إذا لابد من بديل أو احتياطى .. وكان الاحتياطى هو تجهيز وسيلة أخرى للتصنت بحيث تعمل فور تعطل الوسيلة الأساسية .

وبناء عليه .. أعيدت عملية التدريب لذلك الفريق مرة أخرى وظل التدريب مستمرا وكان أمل الثعلب أن يصل لنفس الرقم القياسى لزمن العملية الأولى .. ولكن الفريق أنجز العملية بنوعيها برقم أقل . وبذلك أصبح كل شيء جاهزا .. بقى فقط خطة دخول المبنى .. والخطة البديلة لذلك ..

عكف الثعلب على وضع خطة دخول مبنى الشركة والوصول إلى تلك القاعة .. وتم عرضها على اللجنة التى ناقشت الثعلب فيها وأقرتها .

وطلب منه عرض الخطة البديلة للدخول .. ذلك لو حدث أى عقبة للخطة الأساسية وهنا طلب الثعلب من اللجنة إرجاء عرض تلك الخطة .. فهو فى انتظار معلومات معينة من أحد رجالنا فى تلك الدولة .. وعلى أساسها ستكون الخطة البديلة ..

وفعلا فى اليوم التالى وصلت تلك الدراسة التى كان الثعلب فى احتياج إليها .. وقام بوضع خطته البديلة للدخول بناء على معلومات الدراسة التى وصلته .. وتقدم بها للجنة وأقرتها ..

بعد ذلك كان عليه أن يضع خطة آمنة لسفر الفريق .. وكان من الواجب تحرك الفريق باحتياطات أمن مشددة فكل فرد من الطاقم المسافر سيسافر بمفرده .. إلى مكان ما قريب من الدولة المقصودة .. ويظل موجودا به فى انتظار تليفون بشفرة معينة بعدها يأخذ كل فرد خط السير المرسوم له ليصل إلى الدولة المطلوب العمل بها .. وإلى مكان معين فيها كان الثعلب قد جهزه مع الشقة التى استأجرها . وكان ذلك المكان عبارة عن فيلا فى مكان خلوى يبعد عن المدينة بعدة كيلو مترات .

بذلك يكون قد تم التجهيز لتنفيذ العملية .. فسافر أفراد الفريق كل إلى الاتجاه المحدد له .. ثم سافر الثعلب ليبدأ مع «أوليفيا» خطوات التنفيذ .. حيث التقى بها بعد ساعات قليلة من وصوله .. وعند التقائه بها هذه المرة شعر بأنه مراقب .. أيضاً هى أشارت له بإشارة سرية بما يفيد ذلك فعرف الثعلب على الفور حدوده فى الحديث معها ..

إن القوانين غير صادرة .. واللوائح غير مكتوبة للأعمال السرية ترفض الثقة الكاملة والدائمة للعاملين بها فمهما كان وضع «أوليفيا» ومركزها فى الموساد .. إلا أنه من آن لآخر يجب أن توضع تحت الميكروسكوب

للتأكد من ولائها .. ليس «أوليفيا» فقط .. بل كل من هم أهم منها .. ومن هم أقل منهـا أيضاً وكـان يجب على «حـاييم» أن يختـبـر ولاء «أوليفيا».. وفى نفس الوقت ايضاً ولاء عميلة «شوكت فهمى » ..

فقبل خروج «أوليفيا» للقاء الثعلب .. طلبها «حاييم» فى مكتبه وافتعل أنه يملى عليها رسالة .. وكعادتها أمسكت بقلم من الأقلام التى على مكتبه لتكتب ولكن «حاييم» بطريقة فيها المرح صار يعنفها على عدم إحضار قلمها معها .. ثم فتح درج مكتبه وأخرج لها قلما .. وسلمه لها وأمرها أن يظل هذا القلم معها لا يفارقها لحظة .. حتى وهى خارج عملها . وأخذته «أوليفيا» بسعادة وشكرته عليه .. ووعدته بعدم مفارقتها له..

حقا هناك من يقول إنها من الممكن أن تكون وسيلة مكشوفة وأنه لا يفوت على «أوليفيا» المدربة أن ذلك القلم من الممكن أن يكون جهاز استقبال وإرسالا كاملا .. هنا يقول العاملون بالأعمال السرية .. ولنفرض فلن يخشى ذلك إلا إنسانا خائفا من شىء ما فحقا لقد اكتشفت «أوليفيا» ذلك بسهولة .. ولكنها يجب أن تبدى عدم اهتمامها وتنفذ ما طلب منها وإلا يشك فيها .

وكان «حاييم» يريد أن يختبر إخلاصها لهم .. وكذا كان يريد اختبار إخلاص الثعلب .. وتقبلت «أوليفيا» هذا الاختبار . وتمكنت من تحذير الثعلب .. الذى فهمها بسرعة وسار فى مجالها .. مما أراح «حاييم» عندما استمع إلى تلك المقابلة .. فاطمأن للاثنين .

وفى المساء.. وفى ذلك المكان الجميل المطل على المدينة من أعلى ربوة عالية .. ومع أضواء المبانى التى تتلألأ على بعد .. ومع صوت نغمات

ذلك الأورج الذى يعزف عليه ذلك العازف لحنا رومانسيا رقيقا .. كان الثعلب يجلس .. وأمامه «أوليفيا» التى كانت فى أحسن حالتها .. كانت معنوياتها مرتفعة على وجهها مسحة جمال الأنثى التى تحب .. وتكتم ذلك الحب وتحتفظ به لنفسها ..

كان حديثها مع الثعلب لطيفا.. كانت تذوب رقة ونعومة .. كانت فى عباراتها دعوة مستترة لأن تكون جلسة رومانسية وكان الثعلب قد شعر بحالتها وأحسها ولكنه ولا أجد تعبيرا يسعفنى هنا سوى انه «عمل مش واخد باله» فلو تحدثت هى عن جمال الليلة .. يتحدث هو عن شياكة المحل وحسن موقعه .. ولو تحدثت هى عن حلاوة ورومانسية اللحن الذى يفيض رقة وعذوبة يتحدث هو عن حلاوة الطعام وحسن تنسيقه فى الأطباق .. ثم بلا إرادة حدث صمت بينهما .. صمتت «أوليفيا» وشردت.. واحترم الثعلب صمتها حتى عادت هى من شرودها .. لحظتها سألها الثعلب:

ـ إيه روحتى فين ؟ .

ـ أبدا سرحت شوية ..

ـ أقدر أعرف فى إيه ؟ .

ـ فى اللى بتفكر فيه وجايبنى هنا عشان تطلبه منى .

ـ يعنى انت عارفة اللى حطلبه منك .

ـ طبعا .. والحقيقة أنا فكرت كتير لقيته صعب .. أنا ممكن بس أبعدلك الحارس «آدم» من المكان ..

وبذلك نستطيع أن نقول إن «أوليفيا» دخلت بالثعلب إلى أولى خطوات الخطة فهى لها خبرة تؤهلها لتوقع ما سيطلب منها .. ثم استأنفت بخجل حديثها ..

ـ أنا أقدر آخذ آدم الجزيرة ليوم كامل .. واقدر أخليك تدخل البناية ..

إنما مش حتقدر تدخل قاعة الاجتماعات .. لأن القاعة بمفتاحين واحد معايا والتانى مع «آدم» ومقدرش اطلبه منه .. آدم يروح يبلغ على طول .

ـ أنا عندى حل .. لو أخذتنى آدم الجزيرة .. أنا أقدر آخذ منه المفتاح وارجعه تانى .. قبل ..

ثم يتوقف ولا يكمل .. فتسأله هى :

ـ من غير ما يشعر ؟ .

ـ ده عليكى انت بأه .

ـ تقدر ترجعه بعد قد إيه ؟ .

ـ المسافة من البلد للجزيرة تأخذ كام وقت ؟ .

ـ من الشركة للميناء عشر دقايق بالعربية .. ومن الميناء للجزيرة ساعة بالمركب .. وبتطلع من الميناء مركب كل نص ساعة .

ـ يعنى ابقى محتاج عشر دقايق آخذ فيهم المفتاح وأوصل لميناء الجزيرة وساعة لميناء البلد .. وعشر دقايق للشركة يبقوا ثمانين دقيقة .. وأنا نحتاج للعملية ميه وأربعين دقيقة وبعدين تمانين عودة يعنى حغيب عليكى حوالى خمس ساعات .. ده لو قدرت اظبط مع مواعيد تحرك المراكب ..

وهنا تنظر «أوليفيا» للثعلب نظرة ذات معنى ممتزجة بالخجل ..

ـ تفتكر ده ممكن .. مقدرش يا «شوكت» ..

ويصمت الثعلب .. فقد فشلت المحاولة وأخذ يفكر فى طريقة أخرى .. ثم فجأة وكأنه وجدها .. ولاحظت «أوليفيا» ذلك عليه فسألته :

ـ إيه لقيت حل تانى .

ـ أيوه وسهل جدا .. ممكن تورينى مفتاح القاعة ..

تفتتح «أوليفيا» حقيبتها وتخرج مجموعة مفاتيح وإشارات على أحدهم وكان مفتاحا يشبه مفتاح الخزن .. وعلقت «أوليفيا» :

ـ وعلى فكره مفتاحي مايفتحش بدل مفتاح آدم .. ولا مفتاحه كمان إنما هو قريب من الشكل ده .. ويرد عليها الثعلب بحماس :

ـ أوكيه .. لازم تشغلى آدم بمجرد دخولكم الشقة بنفس الطريقة السابقة.. وأنا حاتصرف .. والمطلوب منك إن «آدم» مايفكرش فى المفتاح ده أبدا خلال تلك الفترة ..

ـ اوكيه .. ده ممكن .. ولو أنى عايزة أقولك حاجة وياريت تصدقنى فيها.. أنا بقيت كارهه ده .. ومش عايزاه يحصل .

وهكذا تم الاتفاق على طريقة الدخول .. وعندما سألته «أوليفيا» عن موعد تنفيذ العملية .. ذكر لها أن ذلك سيتم غالبا فى أحد أيام العطلات.

فى اليوم التالى وكان يوم الجمعة .. وصلت سبع إشارات تليفونية .. من الرجال السبعة .. تفيد وصول كل منهم إلى مكانه الذى سينطلق منه إلى الدولة التى بها العملية عند تلقى إشارة التحرك .

وبعد ظهر نفس اليوم أصدر الثعلب إشارة التحرك لرجاله السبعة على أن يتجمعوا فى المكان المتفق عليه بإحدى ضواحى المدينة .. فى أقل من أربعة وعشرين ساعة من الآن ..

وفى مساء السبت .. كان لقاء الثعلب مع «أوليفيا» .. وكان فى تخطيطه أنه اللقاء النهائى قبل يوم العملية .. حيث ركز فيه معها على هدوء أعصابها وحرصها ألا يشعر الزنجى آدم بشىء ما يحدث من خلف ظهره ـ رتب معها أيضاً خطوات دخوله عليها لأخذ المفتاح وإعادته والإشارات التى ستستخدم فى ذلك .

يستيقظ الثعلب من النوم صباح الأحد مبكرا .. وجلس فى فراشه .. فالتقط نظره مظروفا صغيرا بجوار الباب .. فنهض مسرعا إليه .. وانحنى عليه فوجده عبارة عن رسالة موجهه له ومكتوبة بالشفرة التى علمها الثعلب لها عندما أعطى لها عنوان المراسلة .. وكذا نسختين من مفتاحى القاعة .. وقرأ الثعلب الرسالة التى كانت عبارة :

لحظة قراءتك لرسالتى هذه أكون فى تل أبيب .. فالليلة وصلت رسالة عاجلة بضرورة سفرى إلى هناك على طائرة الساعة الثالثة صباحا .. وذلك لأن ابنتى رشحت من مدرستها لتسافر إلى أمريكا فى معسكر لمدة شهر .. وسفرها سيكون فى العاشرة من صباح نفس اليوم .. لذا فلن أعود إلى هنا قبل انقضاء هذه المدة .. كما وأنه مرفق نسختين .. من المفتاحين .. تمكنت بطريقتى أمس من الحصول عليهما .. ولن أعيب عليك إذا فكرت فى السوء وإنى تعمدت الهروب مما كلفتنى به .. وأقسم لك أنى لم أهرب منك .. ولم أخونك .. وستتأكد من عدم خيانتى عندما تجد نفسك فى أمان ولم يقترب منك أحد ..

أرجو تصديقى .. والأيام ستثبت لك إخلاصى .. اترك لك الحرية فى تأجيل العملية لحين حضورى .. أو التصرف بدونى رجائى حرق رسالتى هذه ولا تترك لها أثر وأعتقد أن «حاييم» سيتصل بك .. أرجو أن لا يشعر بمعرفتك لما حدث..

وبكل الاحباط أمسك الثعلب بالرسالة وأشعل فى طرفها النار وظل يتأملها وهى تحترق ..



ظل الثعلب شاردا ينظر إلى النار المشتعلة فى الرسالة حتى كادت تحرق يده فوضعها فى منفضة السجائر أمامه وظل يتأملها حتى تحولت من وهج أحمر .. إلى هيكل أسود متداعٍ .. إنه الإحباط الذى قارب أن يصيب الثعلب .. ولكن أهو الثعلب الذى يصاب بذلك أبدا .. فقط هو كان يسأل نفسه .. أخانته «أوليفيا» ؟ فنبع من داخله الرد بالنفى .. إذن فعليه أن يستخدم الخطة البديلة .. لكن ما هى تلك الخطة البديلة .. إننا لم نتكلم عنها .. وحان الوقت لشرحها حتى نستطيع تتبع خطوات تنفيذها مع الثعلب .

لقد ذكرت مسبقا أن الثعلب قبل سفره الأخير إلى القاهرة طلب من زميل له بتلك الدولة عمل دراسة معينة .. ويرسلها إليه بالقاهرة .. وذكرنا أيضاً أنها عبارة عن معلومات ستساعد فى وضع الخطة البديلة لدخول مبنى الشركة التى بها قاعة الاجتماعات السرية .. لقد كانت تلك هى دراسة تفصيلية عن شبكة المجارى فى تلك البلد ..

ولا تتعجب أخى القارئ لذلك الطلب .. فقد بدأت الفكرة فى عقل الثعلب يوم أن كان مع «أوليفيا» فى الشركة للقاء حاييم .. فعند انصرافهما .. خرجت به من ممرات ضيقة واعتذرت له لحظتها لوجود عمال لإصلاح خطوط المجارى .. وإشارات على تلك الأبواب الحديدية وقالت إنها فتحات المجارى .. فإذا ربطنا ذلك بما هو معروف من أن المجارى فى دول الخارج عبارة عن شوارع تحت الأرض موصلة إلى المبانى وتربط مجارى المبانى بشبكة المجارى الرئيسية .. من هنا قرر الثعلب أن

تكون المجارى هى خطته البديلة فى دخول المبنى هو ومجموعته .. وبالتالى قاعة الاجتماعات .

وبناء على ما سبق .. كان الثعلب قد طلب من زميله هناك أن يوافيه بدراسة بها كل المعلومات عن المجارى ليضع على ضوئها الخطة البديلة التى حصل على تصديق عليها من اللجنة .. وها هو الآن مضطر لإستخدامها .. بسبب تعثر الخطة الأساسية ..

ونعود الآن إلى الثعلب الذى غادر الفندق وتوجه إلى تلك الفيلا التى فى إحدى ضواحى المدينة .. والتى سيجتمع بها الرجال القادمون من كل اتجاه حول تلك المدينة فوجدهم قد وصلوا جميعا وفى انتظاره .

عقد الثعلب معهم اجتماعا .. بل وتحدث معهم شارحا لهم خطة الدخول وبعد أن انتهى أبلغهم أن ساعة الصفر هى الواحدة فالشوارع فى هذا الوقت تكون تقريبا خالية من المارة والسيارات فمعظم سكان المدينة يكونون خارجها فى العطلة الأسبوعية .. أو فى منازلهم .. فأمر المجموعة أن يتموا على أجهزتهم والمواد اللازمة للعمل .. وذلك لحين انطلاقهم لإنجاز العملية .

وكانت جميع مستلزمات وأدوات الخطة البديلة معدة أساسا بمعرفة أحد زملاء الثعلب هناك .. وهو من كلفه بالدراسة .. وأيضاً جهزت سيارة «فان» دهنت بلون سيارات المجارى هناك وكتب عليها ما هو مكتوب على السيارات الأصل ..

وقبيل الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم الأحد وفى حديقة الفيلا كان الجميع بما فيهم الثعلب يرتدون ملابس العمال .. سألهم الثعلب إذا كانوا مستعدين .. فردوا عليه بقوة إنهم على أتم الاستعداد .. فطلب منهم الثعلب أن يصلوا ركعتين لله .

انتهى الثعلب والمجموعة من الصلاة .. وارتدوا جميعا الملابس الخاصة بعمال المجارى .. حاملين أدواتهم ومعداتهم .

فى الساعة الثانية عشرة وخمسة وأربعين دقيقة .. كان الثعلب جالسا على مقعد القيادة فى السيارة الفان التى بها كل المجموعة .. وانطلق بها إلى قلب المدينة .. وعندما اقترب الثعلب .. بدأ يتأكد من استعداد الأفراد.. حيث أبلغهم أنه فى الانحراف القادم سيكونون بالشارع الذى به المبنى وفعلا انحرف ودخل الشارع بالسيارة .. وكانت المفاجأة: فقد كانت سيارة المجارى الحقيقية واقفة عند نفس البالوعة وحولها الكوردون الأصفر.

فوجىء الثعلب بذلك .. فتمسك بهدوء أعصابه وانحرف بطريقة طبيعية فى شارع يسار .. حيث أوقف السيارة .. وظل صامتا للحظة تركه أعضاء الفريق لأفكاره دون أن ينطق أحدهم ..

بعد لحظات .. طلب الثعلب من أحد أفراد المكتب هناك كان قد اختاره ليكون ضمن المجموعة .. نظرا لإجادته لغة البلد .. وطلب منه أن يخلع ذلك الافرول .. ويتوجه بملابسه العادية إلى شارع المبنى .. ويجلس فى الكافتريا المواجهة .. على أن يعطى له إشارة عندما تنصرف السيارة بالعمال .. ثم يعود لهم فى مكانهم هذا ..

انطلق الرجل من السيارة .. وسار فى الشارع حتى انحرف فأصبح فى شارع البناية .. ونظر فشاهد السيارة تنصرف بعد رفع الكوردون الأصفر .. وأبلغ الثعلب لاسلكيا بذلك .. فطلب منه الثعلب أن يظل مكانه بالكافتريا مراقبا الموقف إلى حين أن يتصل به مرة أخرى ..

انتظر الثعلب ما يقرب من الثلاثين دقيقة .. حتى تأكد من عدم عودة العمال الحقيقيين .. ثم اتصل الفرد الذى بالكافتريا وطلب منه أن ينهض

من الكافتريا .. ويسير بالشارع لمكان حدده له ويظل يراقب من مكانه الجديد .

وبعد عشر دقائق أخرى كانت سيارة الثعلب .. تتجه رأسا إلى مكان البالوعة وأوقف الثعلب السيارة مكان ما كانت السيارة الحقيقية تقف .. وأعطى الثعلب إشارة .. فهبط ثلاثة أفراد قاموا بعمل الكوردون حول السيارة والبالوعة وعندما انتهوا من عمل الكوردون أعطى الثعلب إارة إلى من بقى بالسيارة فهبط الجميع إلا واحدا تركه الثعلب بالسيارة للمراقبة والإبلاغ لاسلكيا بأى موقف غير طبيعى ..

وتقدم الثعلب المجموعة .. وهبط إلى البالوعة وتتابع الأفراد خلفه .. سار الثعلب فى المسار الذى يعرفه حتى وصل إلى أحد أبواب المجارى للمبنى.. وهنا أعطى إشارة لأحدهم ..

تقدم من أعطى له الإشارة إلى الباب وكان يحمل شبه حقيبة هاند باك حيث أخرج منها أنبوبة أكسوچين صغيرة وشعلة لحام وسرعان ما كان يعمل فى مفصلات الباب المصفح .. فصهرت النار المفصلة الأولى من قاعدتها .. ثم دقائق أخرى أصاب المفصلة الثانية قد أصابها ما أصاب الأولى .. وتراجع فرد اللحام ..

أشار الثعلب إلى فردين أشداء فتقدما إلى الباب وبقوة وهدوء حركوه بمقدار يكفى لدخول فرد .. وتقدم الثعلب ودخل .. واندفع خلفه باقى المجموعة فأصبح الجميع فى الممرات التى سار فيها الثعلب من قبل إلى قاعة الاجتماعات .

استوقف الثعلب المجموعة مكانها .. وأشار لأحد الأفراد ليتبعه .. ثم أمسك بيد الطبيب وتقدم به حتى وصلوا إلى قرب حجرة الحارس «آدم» .. ومن خلال الباب الزجاجى شاهدوا الحارس وهو جالس يتصفح مجلة وأمامه أجهزة المونيتور الموصلة لكل مكان .



عندما شاهد الثعلب الحارس .. استوقف كل رجاله بإشارة منه .. فاختفى الجميع .. وأشار للطبيب وأحد الأفراد .. وتسللوا بالقرب من الحجرة الزجاجية .. وكانوا يبحثون عن ماسورة التكييف لتلك الحجرة .. وعثروا عليها .. فتقدم منها الفرد المرافق والمختص وفك الماسورة من مكان دخول الهواء للداخل ثم أخرج من حقيبة معلقة على كتفه أنبوبة «إسبرى» بها مادة مخدرة وقدمها للطبيب الذى فحصها ثم سلمها للفرد الذى بدأ بضخ المادة المخدرة من خلال أنبوبة التكييف إلى ماسورة الهواء..

ظل الطبيب يراقب الفرد وهو يضخ المخدر وبعد كل كمية يستوقفه قليلا ليراقب تأثيره على الحارس .. حتى لا يضار بكمية أكثر من اللازم.. إلى أن بدأ الحارس آدم يشعر بالنعاس ببطء فقام واضجع على فوتيه مريح.. وذهب فى ثبات عميق النعاس .. وأصدر الثعلب عدة أصوات عن طريق طرقه زجاج حجرة المراقبة وتأكد أن الحارس لم يشعر بها ..

عاد الثعلب ومعه مرافقة إلى حيث المجموعة .. وتقدمهم إلى مكان قاعة الاجتماعات .. وكان يعلم تماما أماكن شراك الإنذار .. فيتوقف عند كل منها ويتقدم المختص بإبطالها .. وكان منها شراكا تصدر صاعقة لمن يخترق مجالها وهى أشعة غير مرئية .. وكان وسيلة السيطرة على كل شرك إنذارى تشد أعصاب الجميع حتى يتمكن للمختص السيطرة عليها ويمر منها الجميع بأمان حتى وصلوا إلى باب قاعة الاجتماعات .

تقدم الثعلب وقام بفتح باب القاعة بما لديه من مفاتيح ومن المفرح أنه عند دخول الجماعة القاعة فعلا شعروا بعدم الغربة .. فقد أسرع كل منهم إلى مكان عمله .. وبدأ العمل فورا كلا يكمل بعضه أو يبدأ عمله عند إنهاء عمل من قبله .. حيث كانت تتم عملية وضع أجهزة التصنت وإخفائها .

كان الثعلب يشرف على العمل ويوجه بعضهم وهو من حين لآخر ينظر إلى ساعته .. ثم فجأة سمع صوتا من جهاز اللاسلكى الذى معه فأسرع ليطمئن أولا .. على الحارس فهو مازال يغط فى نوم عميق .. فاتجه إلى فتحة المجارى وصعد . وعندما قارب سطح الأرض .. سمع صوت حديث فنظر بحرص فوجد الرجل الذى تركه للمراقبة يتحدث مع اثنين من الجنود بلغة تلك البلد .

كان الثعلب قد اختار أحد أفراد المجموعة من الذين يجيدون لغة الدولة كأبنائها .. وكلفه بمهمة المراقبة .. وحسنا فعل الثعلب .. فقد أفاد ذلك فى هذا الموقف فقد كانت سيارة بوليس تمر من المكان .. فلفت جنودها العمل بالمجارى فى يوم العطلة .. فتقدموا من فرد المراقبة الذى أبلغهم بمنتهى الهدوء أنه عمل طوارئ .. فقد وصلهم بلاغ بانسداد فى هذا المكان وكان لابد من الحضور لمعالجته .. ويبدوا أن الجندى أراد أن يتأكد.. فطلب منه الحديث مع رئاسته عن طريق اللاسلكى ..

لقد شعر الثعلب أن هناك مأزقا .. ولكنه تردد فى الخروج من البالوعة.. فهو لا يعرف تلك اللغة ولكن من الإشارات فهم أن الجندى يريد أن يتحدث فى اللاسلكى مع المركز الرئيسى ليتأكد من أن ذلك العمل بأوامر..

والحق يقال : إن أعصاب ذلك الشاب كانت من حديد فبمنتهى الثقة نادى فى اللاسلكى على أحد أفراد المجموعة المخصصة لمتابعة العملية بالشقة المؤجرة .. والذى كان مستعدا للموقف .. فعندما نادى الفرد على رئاسة مركز المجارى .. رد زميله بالشقة وكأنه مركز المجارى .. وسلم اللاسلكى للجندى الذى تحدث .. فرد عليه بما طمأنه .. وانصرف الجنديان .. وصعد الثعلب برأسه وأشار للفرد إشارة الاستحسان وأسرع بالهبوط والعودة إلى مكان العمل .

خطر للثعلب أثناء عودته أن يطمئن على الحارس .. ولو أن كمية المخدر الذى سربت إليه تجعله ينام ليس لأقل من سبع ساعات ولكن عندما اقترب من غرفة الحارس لم يجد الطبيب ومن خلال زجاج الغرفة .. فوجئ بأن الحارس «آدم» بدأ يستيقظ ..

أسرع ليحضر الطبيب فقد كادت تحدث الكارثة وأسرع الثعلب إلى حيث المجموعة وجعلهم يوقفون العمل ويخرجون من القاعة واصطحب الطبيب وأسرعا إلى حجرة الحارس .. وكان «آدم» بالكاد يجلس فى الفراش .. فاسرعوا بإعادة ضخ المخدر .. فعاود الحارس النعاس مرة أخرى .. واستلقى.. وفى هذه المرة أمر الطبيب بضخ ضعف الكمية .. وعندما تأكدوا من نومه التام .. طلب الطبيب أن يدخل ليقيس نبضه ويطمئن عليه .

وفتح له باب الحارس .. وتسلل الطبيب بمفرده .. ووصل إلى قرب الفراش وفجأة صرخ الطبيب وتراجع للخلف .. فقد فوجىء بالحارس فاتحا عينيه بشكل مخيف ..

أسرع الثعلب بالدخول .. فالطبيب تسمر مكانه لا ينطق ولا يشير

واقترب الثعلب .. وشاهد ما شاهده الطبيب .. فعلا كان شيئاً مفزعا .. ولكن الثعلب لاحظ أن الحارس لا يرجف .. فاقترب منه وأشار بيده أمام عينيه.. واكتشف أن الحارس من النوع الذى ينام وعينيه مفتوحة .. واطمأن الطبيب .. وخرج من فزعه .. وأمسك بنبض الحارس .. وتأكد من انتظام أنفاسه ..

عاد الثعلب ومن معه إلى قاعة الاجتماع .. وأمر المجموعة بالدخول واستكمال عملها .. ورغم أنه حدث تأخير ما يقرب من الخمس دقائق .. إلا أنه بمجرد أن وصل عقرب الساعة إلى الدقيقة الأربعين بعد المائة حتى كان رئيس المجموعة يعطى تماما للثعلب بانتهاء العملية ..

قام الثعلب بعمل كشف دقيق على كل شىء .. لقد عاد كل شىء لأصله حتى تلك العيوب التى كانت موجودة أصلا على الجدران .. أيضاً أعيد عملها كما كانت كعيوب .. لقد عادت قاعة الاجتماعات كما كانت من قبل بالضبط فغادر الثعلب ومن معه المكان من نفس طريق دخولهم .

استقل الثعلب وفريقه السيارة .. وفى شارع جانبى توقف .. وخلع زى المجارى هو وأحد الأفراد .. حيث غادروا السيارة بعد ذلك بالقرب من العمارة التى بها الشقة المستأجرة والتى سيكون منها الاستماع والتسجيل.. حيث اطمأن على الأجهزة ..ولكن حتى الآن لم يكن أحد يستطيع أن يجزم بنجاح العملية من عدمه .. فلا أحد بالشركة أصلا ولا بقرب القاعة حتى يسمع أصواتا .. ذلك إن القاعة أصلا كانت مجهزة بحيث لا يصدر منها صوت للخارج ولا يصلها من الخارج أى صوت ..

وكان لزاما على الثعلب أن يظل فى تلك الشقة حتى صباح اليوم

التالى وهو يوم الاثنين .. وكان ذلك اليوم هو أحد أيام اجتماعات قادة الموساد مع قادة المخابرات الدول الصديقة لها معنى ذلك إن فى هذا اليوم سيتم تسجيل أول شريط لاجتماعات تلك المجموعة ..

لذا بقى الثعلب على أعصابه حتى موعد الاجتماع فى اليوم التالى .. فقبل موعد وصول الأعضاء إلى قاعة الاجتماعات .. كان الثعلب ومجموعة الاستماع والتسجيل التى ستعمل فى شقة الاستقبال تلك يحيطون بالأجهزة وهم على أحر من الجمر لمعرفة النتيجة ولا ننكر أيضاً أن ذلك كان حال أعضاء اللجنة بالقاهرة ..

وفى الساعة الثامنة إلا دقائق .. التقطت الأجهزة أول الأصوات .. كانت صوت فتح باب القاعة .. ثم أصوات أقدام .. وهنا هلل كل من كان مع الثعلب حول الأجهزة .. ولكن الثعلب كان يريد أن يتأكد أكثر.. وبدءوا يستمعون لأصوات الإداريين الذين كانوا يجهزون للاجتماع .. وأيضاً لم يحاول الثعلب الاتصال بالقاهرة ليبلغ بنجاح العملية .. إلا بعد تسجيل الاجتماع .

ثم توالى وصول الأعضاء .. ويصل حديثهم مع بعضهم ويسجل وكانت النتيجة ممتازة .. وبدأ «حاييم كارول» فى الحديث .. وأعلن عقد الاجتماع واستمر التسجيل .. حيث انتهى الآجتماع بعد ساعتين .

وأرسلت إشارة النجاح .. ومعها موعد عودة الثعلب فى اليوم التالى ومعه الشريط الذى سجل عليه ذلك الاجتماع .. وبعد أن اتصل المشير أحمد إسماعيل .. رئيس المخابرات العامة .. بالرئيس السادات ليبلغه نجاح العملية.. ذكر المشير لأعضاء اللجنة .. أن الرئيس فرح فرحا شديدا .. وقال «دلوقتى بس أقدر أنام» .

وصل الثعلب ومعه شريط التسجيل لتلك الجلسة .. وللحق كان به معلومات من أخطر ما يمكن .. وعلى حسب تعليمات الرئيس السادات.. أرسل له شريط التسجيل .. فاستمع له فور وصوله إليه ..

ومن يومها .. كانت كل اجتماعات الموساد مع مخابرات الدول المتعاونة معها يحضرها الرئيس السادات على مقعده الذى تمنى يوما أن يضعه له رجال المخابرات المصرية فى تلك القاعة التى تمكن ذلك الثعلب من اقتحامها سرا ليحقق تلك الأمنية .. التى استغلها الرئيس السادات فى تحقيق أمنية ملايين البشر من شعب مصر .. فرفعوا رءوسهم بعد عودة العزة والكرامة لهم ..

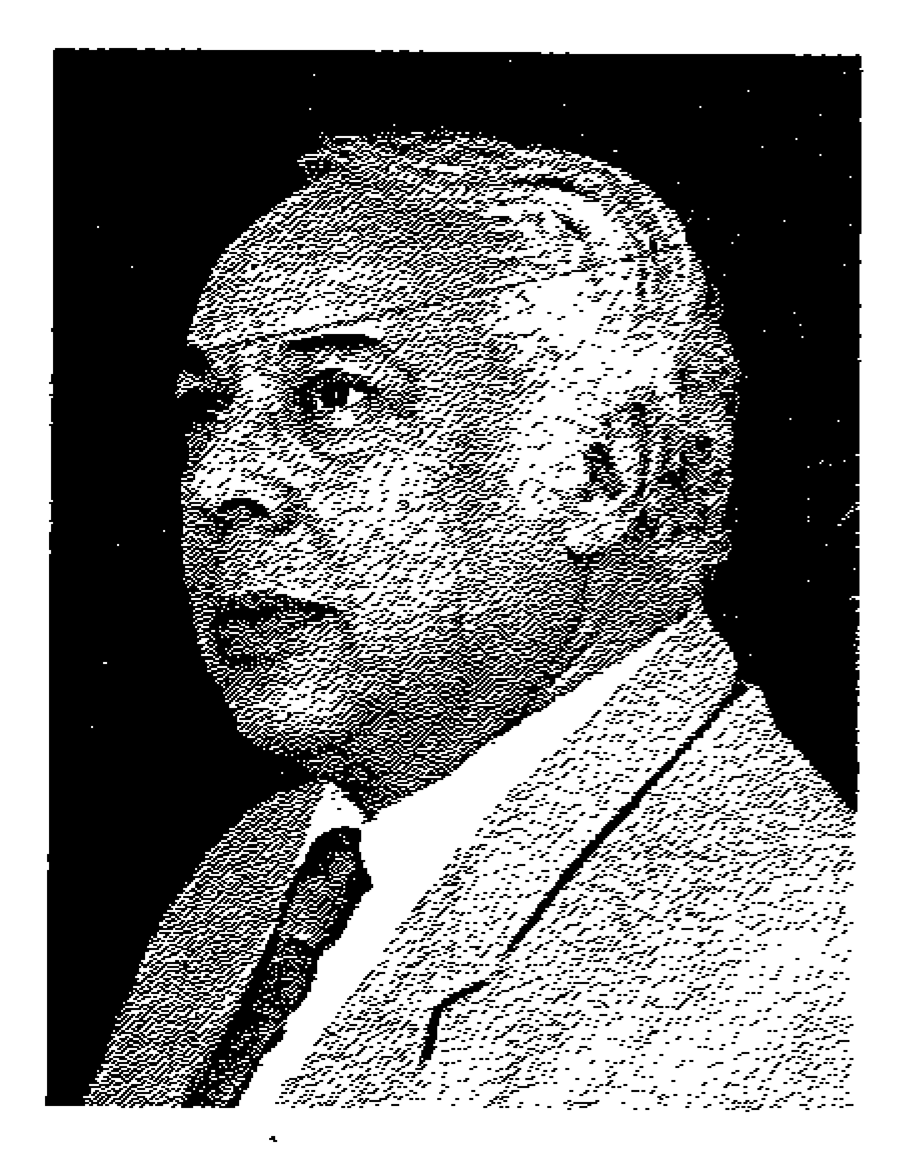
وهاهو العالم قد عرف اليوم ما كان يحيره من سنوات طويلة وهو .. من أين حصلت مصر على تلك المعلومات الدقيقة عن الخصم والتى مكنتها من الانتصار فى معركة أكتوبر ؟ .. أيضاً من أين كانت مصر تحصل على تلك المعلومات الصحيحة التى كانت تفاجئ بها دول العالم من حين لآخر ؟ ..

واليوم أيضاً ستبدأ الموساد فى البحث لها عن مكان آخر لتعقد فيه اجتماعات قادتها مع قيادات مخابرات الدول الصديقة لها والمتعاونة معها.. ذلك بعد ما كشف لها الآن .. ما كانت تعتقد أنه سر من أسرارها حتى الآن .

أخي القارئ استودعك الله ..
وإلي لقاء آخر قريب مع عملية أخري
من عمليات المخابرات العامة المصرية .

تمت بعون الله

هذا الكتاب



«الثعلب» اسم أطلقته مخابرات إسرائيل .. على أحد رجال المخابرات العامة المصرية .. و «الموساد» كانت صادقة فى هذه التسمية.. فالاسم هو حقا صفة ذلك الرجل .. لقد أطلقت عليه الموساد الاسم بعد أن أحبط لها معظم محاولاتها من أجل الحصول على معلومات عن مصر .. والعملية التى يقصها علينا الكاتب إبراهيم مسعود فى هذا الكتاب من أهم العمليات التى قام بها الثعلب .. فقد نما إلى علم الرئيس السادات أن الموساد وبعض مخابرات الدول الصديقة لها يجتمعون فى مكان ما بإحدى الدول الأوروبية لتبادل المعلومات .. فطلب من المرحوم أحمد إسماعيل أيام أن كان مديرا للمخابرات العامة أن يضع له مقعدا على مائدة الاجتماعات التى تجتمع عليها الموساد ومخابرات الدول الصديقة لها .. وفهم المرحوم أحمد إسماعيل ما طلبه الرئيس فهو يطلب منه أن يكلف رجاله بالعمل على تحديد تلك الدولة .. وأيضا ذلك المكان السرى الذى يجتمعون فيه ثم يقومون بوضع أجهزة استماع وتسجيل سرية لنقل كل ما يدور بينهم من معلومات .

وكلف الثعلب بتلك العملية .. وكان التخطيط السرى الدقيق .. وكان التنفيذ الجرىء .. وكانت المغامرة الخطيرة التى قام بها الثعلب ورجاله .. وكانت فرحة الرئيس السادات بما وصله من معلومات .. ساعدته كثيرا فى معركة أكتوبر ..

الناشر